

٥

طوبى للرحماء

دراسة لفضيلة الرحمة مدعمه بأقوال الآباء وسير القديسين

بقلم دياكون
د. ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

مكتبة المحبة

طوبى للرُّحماء

دراسة لفضيلة الرَحمة

مُدَّعَمة بأقَوال الآبَاء وسِيَر القِدّيسين

بقـــلم :
دياكون د. ميخائيل مكسي إسكندر

طبع بشركة تريكرومي للطباعة
ت ٥٩٠٢٠٤٨ - فاكس ٥٨٩٦٦٥٥

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٠٠٨ / ١٩٩٨

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977 - 12 - 0380 - 0



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

طوبى للرُحَمَاء ... لأنهم يُرحمون

مقدمة

تهتم الكنيسة «بالرَحمة»، فهى مفتَاح الدِخُول إلى ملكوت السموات، ومصدر الراحة على الأرض ، وتلِد بنين كثيرين، كالحَنان والحُب، والحُلم والرأفة والصفْح والإتضاع، والسلام والهدوء القلبي، وغيرها من البركات الروحية العظيمة، ولهذا نكرِّرها كثيراً فى صلوات القُداس الإلِهي. كما نُردِّدَ عبارة «يارب ارحم». بالنصَ اليوناني: «كيرياليسون»، واحداً وأربعين مرة. فى كل صلاة بالمزامير. ويتلو الكاهن «طِلْبَة الرِحمة» فى صلوات «عشية وباكر»، بالنص القبطي، قائلاً: «إفنوتى ناى نان» (اللهم تراءَ ف علينا وارحمّنا).

وقد أحصينا ٣٠٨ آية كتابيَة، تتحدثْ عن رحمة الله، ولا عجَب فى ذلك، فالرَحمة صَفة من «صفات الله» الشَفوق الرَؤوف، الحنأن الحَنون، والرحمن، الرحيم، الذى دَبَّر الخلاص للبَشرِّية السَاقطة، بُمبادَرة منه دون أن يطلب منه أحد؛ والمستعد ـ دائماَ ـ لقبول الخُطاة، وغُفران خطاياهم؛ مها

كانت ثقيلة وكثيرة، فهو القائل : «**محبة أبدية أحببتك، لذلك أدمتُ لك الرحمة**» (إر ٣١::٣)

وقد وصفه الرسول يعقوب بقوله «الرب كثير الرحمة ورؤوف» (يع٥:١١). وامتدحه داودالنبى بقوله:«الرب حنّان ورحيم ، طويل الروح، وكثير الرحمة»(مز٣٣:٥) وقدَّم له الشُكر عدة مرات: «**لأنه صالح، وأن إلي الأبد رحمته**». وشهد ـ بروح النبوّة ـ أنه فى شخص المسيح الفادي: «فإن الرحمة والحق تلاقيا، والعدل والسلام تلاثما» (مز٨٥:١٠)، وقال عنه إرميا النبى إنه «الصانع رحمةً وقضاءً وعدلاً» (إر٩:٢٤).

إلهنا الرَّحُوم الذى نعبده

لقد لمسْنا رحمة الله ظاهرةً، فى أعمال يسوع الحنون، الذى خفَّف آلام البشر الجسدية والروحية، «لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل «هو أخذ أسقامنا وحَمل أمراضنا» (مت٨: ١٧) ورحم البشرِيّة الساقطة من الهلاك الأبدى المَحتومَ حسب وعده الأول لآدم فورَ سقوطه (تك٣: ١٥)!!

ويقول الرسول بولس: «الله الذى **هو غني في الرحمة**، من أجل محبته الكثيرة، التى أحبَّنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح . . . وأقامنا معه وأجلسَنا معه فى السماويات، وليظهِر فى الدهور الآتية **غنَي نعمته**، الفائِق **باللطف علينا**، فى المسيح يسوع» (أف ٢: ٤ـ٦).

وقال فى مَوضع آخر: « من ثمّ كان ينبغى أن يُشبه إخوته، فى كل شئ (ماخلا الخطية) لكى **يكون رحيماً** ... حتى يُكَفر خطايا الشَعب» (عب٢: ١٧). وإرادَته السامية دائماً، أن: «جميع الناس يَخلصُون، وإلى معرفة الحَق يُقبِلوُن» (اتي٢: ٣).

وقـــد تغنّت أم النور برحمة الله، فى تسبّحتها الخالدة فقالت: «تُعظّم نفسى الربَ، وتبتهج روحى بالله مخلّصى ... لأن القدير صنَع بى عظائم، وإسمه قدوس، ورحمته إلي جيل الأجيال، للذين يتقونه. أشبع الجياع خيرات، وصرف الأغنياء فارغين...، ليذكر رحمته؛ كما كلّم آباءَنا، لإبراهيم ونسله إلى الأبد» (لو١: ٥٠-٥٥). ويارك زكريا الرّب: « لأنه افتقد وصنَع فداءً لشعبه ... كما تكلم بفم أنبيائه القدّيسين... ليصنع رَحمة لآبائنا، ويذكر عهدَهُ المُقدّس... بأحشاء رحمة إلهنا، التى بها افتقدنّا» (لو١:٦٨-٧٨).

وقال أحد الآباء أن كلمة «الرَحمة» من الرّحِم! ونحن أولاده الأحياء، أحبنًا محبة أبدية، لأنه ولدنا بكلمة نعمته.

وقد ترك لنا الرّب أسمى وأكمّل شريعة، فاضَت بالرحمة والمحبة العملية (مت٥:٧)، وطبقها يسوع أولاً، ليتسنّى لأولاده السيَر، على منواله. ومثالاً لذلك يُسجّل البَشير لوقا كيف أن الرّب تحننّ على أرملة نايين، وأقام لها إبنها من الموت، دون أن تطلب هى منه (لو٧:١١-١٧). وكيف أنه قبل اللص اليمين، وأدخله إلى الفردوس، فورَ إقراره بذنبه، وطَلبه الرحمة منه (لو٢٣: ٤٠-٤٤) كما رحم «لونجينوس» قائد المائة

الرومـــاني، الذى طعنه بالحــربة (لو٢٣:٤٧)، ونال إكليل الشهادة، بعد إيمانه بالمسيحية! وصار أسقفاً وخادماً أميناً.

وقد تجلّت رحَمة الله المُتناهية فى سَيره ـ ذات مرة ـ حتى مُنتصف النهار، من أجل لقاء المرأة «السامرية» الخاطئة، كما نلمس حنانَه أيضا فى حواره الطويل معها، والذى امتدَح فيه صدق اعترافها بشرورها، فذاب قلبها القاسي، أمام حنانِه ورقّته (يو٤:١ـ٤٢)!

وقد تطوّع المُخلّص ـ له المَجد ـ بالذهاب إلى المفلوج، الذى ظل ٣٨ عاماً، مطروحاً على فراشه، ينتظر من يُلقيه فى بركة حَسْدا؛ أملاً فى الشفاء طوال تلك السنوات؛ ولما شكا حاله للرب قائلاً: «ياسيد ليس لى إنسان» . قدّم له يسوع الشفاء العاجل بمُبادَرة منه تعالى (يو٥:١ـ٩)!

ومن مَواقف الرحمة الإلهية الواضحة، على سبيل المثال لا الحصَر؛ موَقف المُخلصّ من المرأة الزانية، وقُساة القلب الذين أرادوا أن يرجمونها. فكتب لكل منهم خطيّته المَحبوبة، ثم خاَطب بالمنطق ضمائرهم المُخدّرة، وطالب الذى يظن أنه بلاخطيه، «فليرجمها أولاً بحجر».

ويُعلقُ يوحنا الحَبيب على موقفهم بقوله: «أماهم فلما سَمعُوا ـ وكانت ضمائرهم تُبكتّهم ـ خروجوا واحداً فواحداً، مُبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين. وبقى يسوع وحده (مع الخاطئة)... وقال للمرأة:«أنا لا أدينك... إذهبى ولا تخطئ أيضاً»! (يو٨:٢ـ١١). ودافع الرب عن « الخاطِئة» التى سكبت قارورة الطيب على رأسه:«لأنهم كانوا يؤنبونها»! (مر١٤:٥). وقال لهم مُعاتباً «لماذا تُزعِجُون المرأة؟! فإنها قد عَملِت بى حَسناً» (مت٢٦:١٠)!.

وقد تَحنّن يسوع على المرأة «نازفة الدم» ،التى أنفقَت كل مَالها؛ وصارت إلى حال أردأ. ولما مسّت هُدبَ ثوبه، برئت فى الحال؛ ثم أعلن إيمانها وطيبَّ خاطرّها بكلمة رقيقة (مر٥:٢٥ـ٣٤)! وقد أدركت رحمته «بارتيماوس» الأعمي، الذى لما سمع عن مرور المسيح بالمنطقة، صرخ طالباً أن يرحمه مما فيه من ظُلمة! ويقول مارمرقس الإنجيلي: « إن كثيرين قد انتهرُوه ليسكُت؛ فصرخ أكثر كثيراً: «يا إبن داود إرحمنى» . فتوّقف يسوع عن السير ، وأجابه إلى طلبه فوراً (مرقس١٠:٤٦ـ٥٤)!.

ويُسّجل البَشير متي، أن يسوع تحنن على الجموع الكثيرة.

وشفى مرضاهم، وكلمهم طوال اليوم، بكلمات النعمة. ولما أراد التلاميذ أن يصرفوهم لم يوافق الرحيم، إلا بعد ما أشبعهم جميعاً من الخبز والسمك! (مت١٤:١٤).

وفى مرة أخرى قال يسوع لتلاميذه «إنى أشفق على الجَمع، لأن الآن لهم ثلاثة أيام، يمكثون معي؛ ولستُ أريد أن أصرفهم صائمين، لئلا يَخُوروا فى الطريق» ثم أشبَع الآلاف، من سبع خبزات، وقليل من صغار السمك» (مت١٥:٣٢ـ٣٩).

وفى موضع آخر، يُشير متى الرسول إلى حُنو الرّب الزائد، ورغبته في خلاص النفوس، فيقول :«ولما رأى الجُموع تحنّن عليهم، إذ كانواْ منزعجين منطرحين، كغنمٍ لاراعى لها». وتمّنيّ أن يكون للشعب العَدد الكافى من الخُدام (مت٩:٣٦). وفى نفس الوقت تحنّن أيضاً على أعميين؛ لما طلبَا منه أن يرحمهما وفتَّح لهما أعينهما (مت٩:٢٧)، وذلك تأييداً لأقواله الإلهية: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضي... إني أريد رحمة لاذبيحة؛ لأنى لم آت لأدعو أبراراً بل خُطاة إلى التوبة» (مت ٩:١٣). ومصداقاً لهذا القَول، فقد امتدح المَرأة الكنعانية، بعدما كشف عما بداخلها من إيمان وحُب واحتمالٍ واتضاع (مت١٥:٢١ـ٢٨).

كما تحنّن على «زكا» رئيس العشارين، وأسرع وقبلّه فرحا. ونظراً لأن طبيب النفوس لم يوبّخه بشده، على ماضيه الشرير! فقد فتح أمامه باب التوبة؛ التى ظهرّت فى عزمه على رحمة ضحاياه وتعويضهم أضعافاً، بعدما ذاب قلبه الحَجر، أمام حَنان المسيح الزائد عن الحد!! (لو١٩:١-١٠).

وفى يوم «الخميس الكبير» صَنع الرحمة بتلاميذه قبل أن يصنع الرحمة للبشرّية جمَعاء، فتحَنن عليهم إذ وجدهم يُغالبون النَوم. فقال لهم : «ناموا الآن واستريحوا» (مت٢٦:٤٥) كما تحنّن على ملخس (عبد رئيس الكهنة) الذى اندفع بطرس وقطع أذنه اليُمني، فأبرأها له المُخلّص ، رغم أن ذلك العَبد الشرير جاء مع الجُند، للقبض على يسوع (لو٢٢:٥١) كما أنه - له المجد - لم يلُم يهوذا بشدة بل قال له بحنانه المعَهود: « **ياصاحب** أبقُبَلة «تُسلّم إبن الإنسان؟!» (لو٢٢:٤٨). وعندما تقدّم الجُند للقبض عليه، قال لهم: «إن كُنتم تطلبونني، **فدعوا هؤلاء** (التلاميذ) **يذهبون**» (يو١٨:٨)!! وكانت الرحمة الكُبرى - على عود الصليب - حينما قال الفادي: «ياأبتاه **إغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون**» (لو١٣:٢٤)!

ومن مواقِف الرَحمة أيضاً، ماحدَث عندما رفضت إحدى

قريةً «السامرة» سماع صوت الله، فثارَت ثائرة يعقوب ويوحنا. وطلبًا من الرب أن تنزل نارمن السماء فتفنيهم! ويقول القديس لوقا الانجيلي، فى هذا المجال: «فالتفت «يسوع» وانتهرَهُما وقال لستُما تعلمَان من أى روح أنتما؟، لأن إبن الإنسان لم يأتِ ليُهلِك أنفُس الناس بل ليُخلّص» (لو٩:٥٢-٥٦).

وقد صوّر لنا الرب محبته للرحمة وأعمالها، فى أمثال كثيرة، منها مثلاً: «السامرى الصالح» الذى تحنّن على عدوّه، وأنقذه من موت مُحقّق، بعدما ضمّد جراحاته، ونقله على دابته الى الفندق، ودفع نفقات علاجه، رغم ماكان سيحيقُ به من خَطر، فى هذا المكان، الملئ باللصوص، مما اضطر الناموسى المتعصّب إلى الاعتراف بأن: «الذى صَنع الرحمة هو قريبُه الحقيقي»، وليس الكاهن أو اللاوي، اللذين لم يُقدّما له المُساعَدة الواجبة، فى بلواه! (لو١٠:٢٥-٣٧).

وفوق ذلك كله: فقد شارك المسيح فى أحزاننَا؛ فبكى على لعازر حبيبه (يو١١:٣٥). وبكى على يهود أورشليم، لرفضهم دعوته، وتمنّى من قلبه «أن يجمعهم كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» (مت ٢٣:٢٧).

وفى هذا يقول ذهبى الفم: «إن المسيح قد شبّه نفسه

بالدجاجة، وذلك لأن الطيور الأخرى لا يُمكن تمييز الأم التى لديها فراخ، عن غيرها، إلا إذا كُن فى أعشاشهن، أما الدجاجة فتجدها هزيلة وجناحيها مرتخيان، وريشها أكثرهُ منتثر وصوتها مُبح، وهكذا المُخلّص ـ له المَجد ـ سمعى لخلاصنا، وهو فى تعب وعطش».

وقد ورد فى إحدى الصُحف، إنه أثناء غارات الألمان على حلوان ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ إكتشفوا دجاجة مُحترِقَةً تماماً من آثار قنبلة، سقطت على إحدى المخازن، وفوجيء الحاضرون بفراخها، وهن يخرجن من تحتها، دون أدنى أذي!!.

كما أن قسوة شاول الطرسوسِي، وتعصبه الأعمى (أع٩:١) لم تمنع الله من أن يمد له يد الرحمة، ويرشده إلى طريق الحق ويجعله إناءً مُختاراً له (أع٩:١٥).

وقد اعترف بولس بقسوته الأولى ـ فقال: «أنا الذى كُنت مُجدفاً ومُضطهِداً (لكنيسة الله)، ومُفترياً، ولكننى رُحِمتُ، لأنى فَعلَتُ بجهلٍ، فى عدم إيمان» (١ تيمو ١: ١٣). بينما ظلّ فرعون مُغلظاً قلبهُ، ومتمادياً فى القسوة والعناد، إلى ما لا نهاية فحلّت عليه الضربات المُتلاحقة، ثم انتهت بموت إبنه البِكر، وغرقه مع جيشه فى البحر الأحمر (خر ١٤: ٣٠).

ويقول القديس أغسطينوس: «إذ نحمل يسوع فينا، بل صرنا جسده، لذلك نُحسُ بإحساساته (الحنونه)، فنُشارك أعضاءَ جسده المُتألمّة، كما لو كانت آلامنا نحن، فنتُوق أن نحملها عنه. وهكذا نتمثّل بيسوع الذى حمَل أتعاب المُحتقَرين، والمرذولين، وشارك المُتألمّين، فتحنّن عليهم. كما بكى مع الباكين (مع مريم ومرثا) وشعَر بضعف الساقطين، فلم يوبّخهم، بل احتضنّهم، فى شفقة وحنان، وشارك أيضاً الفَرحين، فلم يرفض دعوة عُرس قانا الجليل. فمحبتك للمساكين وعطفك عليهم، يكشف عن عمل يسوع فيك».

وقد تحدّث داود النبى عن الله فقال: «الرب رحيم، ورؤوف، طويل الروح، وكثير الرَحمة، لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا، لأن مثل إرتفاع السموات فوق الأرض، قويت رحمته على خائفيه» (مز ١٠٣ : ٨ ـ ١٣).

وتحدّث المُرنّم أيضاً عن تَطوُّع الله للقيام بالخلاص، رحمة بالخُطاة، فهو القائل: «من أجل صراخ المساكين، وتنهُّد البائسين، الآن أقوم.. أصنع الخلاص علانية» (مز ١٢: ٦).

ومن الجدير بالذكر أنه بعد ما أخطأ داود (بعملية إحصاء الشعب) حدّدله الربّ ثلاث عقوبات، ليختار منها واحدة، فقال داود نادماً: «قد ضاق بى الأمر جداً، أقَع فى يد الرب، **لأن مراحمه كثيرة**، ولا أسقط فى يد إنسان» (٢صم ٢٤: ١٤). وصلّى قائلاً: «إرحمنى يارب، فإنى ضعيف» (مز ٣١: ٧).

وهكذا يُصليّ الكاهن فى أوشيّة الرَاقدين قائلاً: «إذ لبسُوا جسداً وسكنوا فى هذا العالم.. إن كان قد لحقهّم ضّعف، أو تَوانٍ كبَشر، وأنت تعرف يا رب ضعف طبيعتنا، فاغفرّ لهم وارحمهم...».

وخارج دائرة الكتاب المُقدّس، تظهر رحمة الله بالخُطاة فى قصص كثيرة؛ نذكُر منها مثلاً؛ ماورد فى سيرة مارمينا العجائبي، من أن لصوصاً سرقوا قدراً به خَمر، وهَمُّوا بالجلوس، بجوار بيعة الشهد بمريوط، ليحتسُوا ما به من خمر، لكن اللهّ الرَحوم، أرسل خروفاً كسر القدر (الزَلعة)، فظهر به ثعبان سَام؛ فلما شعَر اللصوص بأن رحمة الله أدركتهّم، تابوا عن شرّهما.

وقد ورَد فى بُستان الرُهبان، أن أحد الأساقفة سمع عن إمرأتين كانتا فى سِيَرة غير نقية، فتألمّ بسببهما ، وتضرّع إلى

الله أن يُعرِّفه حقيقة ما سمع! فنال ذلك، وهو أنه ذات مرة جاءت المرأتان، وتناولتا من السرائر المُقدسَّة، فرأى وجهيهما مُنيرين. ولكنه أبصر وجوه غيرهما سوداء ، ومنهم من وجهه أحمر، كمثل نار؛ فعاود الإبتهال الى اللّه ليكشف له الأمر، وإذ بملاك يظهرله، ويقول «أما المرأتين اللتين عرَّفوك بهما، فما قيل عنهما صحيح وأنهما فكّرتا فى خطاياهما، ورجعتا إلى الله فقَبِل توبتهما»! فقال الأسقُف للمَلاك: «أنا مُتعجّب ليس من توبة المرأتين. **ولكن عجبي (فِعلاً) من رحمة الله المتناهية**، إذ لم يجلب عليهما العقوبات، التى يستحقانها، لكنه أهلهُما لمثل هذه النعمة العظيمة»!

فقال له الملاك : أما أنتَ، فإنك إنسان؛ أما سيدنا وإلهنا فهو بالطبع صالح، **ومُتحنن علي الذين يكفُّونْ عن خطاياهم**، ويرجعون إليه؛ وإن كان أهل العالم (الخُطاة) أعداء له، فقد أحبهُم، وبذل إبنه الحَبيب، من أجلهم ، أفمَا يليق به ـ على الأمر الأكثر ـ إذا رجعوا وندموا، يزيل عنهم العقاب؟! واعلم أن رحمته تغلُب على خطايا البَشر، وأنه لم يزَل رحومًا ، عارفاً بضَعف البشر، فلذلك مغفرته واسعة»!

وطلبَ الأسقُف أن يُعرّفه المَلاك عن اختلاف وجوه البَشر،

الذين جاءوا إلى الكنيسة. فقال له المَلاك: «أمَا الذين وجوهم بَهيَّة، فهُم أصحاب العفة والطهارة والعدل، وهم ودعاء رحومين. أما المُسوَدُّو الوُجوه فهم الزُناة؛ وأما الذين وجوههم مُبقعَّة كَالنار، فهم أصحاب الخُبث والضجر، والوقيعة والإفتراء؛ وعليك أن تُرشدَهم بعظاتك وتَردُّهم إلى التوبة؛ وأن تُعلّمهم ألا يقطع أحد منهم أيامه (ييأس) من رحمة سيدنا يسوع له المَجد»!

ومن الجدير بالذِكر، أن اللّه يُشفِق على البَشر، بلا تميَيز، فيصنع الخَير للمؤمنين والمُحلدين، ولايُهلكهم، بل يتأنّى عليهم ، لعلهم يتوبون. ويشرق بشمسه على الأبرار والظالمين، ويُرسِل لهم المَطر فى حينه. وتتعدى رحمته الكائنات العاقلة، إلى النبات والحيوان، فقد أشفق على اليقطينة، وركبَ يسوع فوق أتانٍ وجحش، ليُخفِّف عنهما الحمْل، وليجمعهُما معا. وقال فى وصاياه «لاتكُمّ ثوراً دارِساً» (تث٢٥:٤). وأشار أبونا يعقوب إلى أن الغنم لاتحتمل، وطلب من رعاتِه ألا يَكدُّوها فى الطريق (تك٣٣:١٣)!.

وقد ذكَر التاريخ المُقدّس، عن كاهن مسيحى فى العصر الروماني، كان قد جِذَب شاباً وثنياً ـ إلى المسيحية ـ ولكن

صديقاً شريراً أرجعَهُ إلى حياة الشر؛ فترك الإيمان! فغضب منه الكاهن وطلبَ من اللّه أن ينتقم منه، لتَركِه إياه! فرأى الأب الكاهن رؤيا، وإذا بالصديق يدفع هذا الشاب المسكين، من فوق جبلٍ عالٍ إلى أسفل، حيث وقف يسوع يمد ذراعيه لكى يلتقطه، ويضمّه إلى «حُضنه الحنون». وهكذا قام الكاهن من نومه، وعمل محاولات لجذبه ثانيةً إلى الإيمان ، حتى أرجعه إلى المسيح !

وهو مافعله القديس يوحنا الحبيب، حينما سَلمَّ أسقُف مدينة أفسس شاباً، وطلب منه رعايته، ولكنه سار مع الأشرار، وصار رئيساً لعصابة للصوص! وكان يختبئ معهم فى الغابات! حينئذ أسرَع الرسول نحو الغابات رَاكبًا حصانَه، فأمسكه كل اللصوص، وقادُوه إلى رئيسهم! فلما رأى القديس ، خجل من نفسه، وأسرع بالهرَب، فجرى وراءَه حتى أدركه، وأعلمه بمحبة الله ورحمته، الواسعة وأرجعه إلى الله!.

+ + +

التشبّه بالله في رحمته

دعانا الرب أن نكون «رُحماء» **مثله** (لو٦:٣٦) وهي دَعوة لاقَت قُلوباً مُطيعة على مر العصور، فتشبهَت بخالقَها، في حنانه ورحمته الكبيرة. وكان من أجمل صورها مافعله إسطفانوس الشهيد الأول الذى صلّى من أجل راجميه !! (أع٧:٦٠) أسوة بفاديه يسوع، وكذلك طلب الشهيد أبي سيفين أن يرحم الله مُعذبيه رغم قسوتهم معه! ودعاء مارمينا للسّياف بالرحمة.

ويذكرُ بستان الرهبان أن الأنبّا بيمينّ كان رحيماً رقيقاً، يعطف على جميع الناس، حتى لقد أطلقَ عليه لقب «الأب الرؤوف». وقد قضى فى البرية قرابة مائة عام، اجتذب فيها عدداً كبيراً الى حياة القداسة. وساعده فى ذلك رقتهٌ ورحمته اللتان كانتا كالمغنطيس ـ تُحببّان الناس فيه، فتحب اللهّ وتتفرغ للحياة النُسّكية. وكان يعطف على الخُطاه، ويقدم لهم كلمات حنونه، تجعلّهم يقررون التوبه! وكان يقول «إن رأيتّم أخاً على وشك السقوط، فمدُّو أيديكم اليه وارفعوه وعزّوا قلبه وذكرّوه بمحبة الله، ليتشجع ويُعاود جهاده فى سبيل الكمال المسيحي».

وقد سُئل القديس ذات مرة «إن وجدنا بعض الاخوة نياماً في الكنيسة فماذا نفعل بهم ؟!

أجابهم بقوله : «إن وجدّت أخاً نائماً في الكنيسه أضع رأسه على ركُبتّي وأفسح له المكان ليستريح. فقال أحدُهم «وما الجواب الذى تؤديه للرب عن هذا العمل؟! أجابه القديس «سأقول لربي لقد قُلت لى أخرِج الخشبة من عينك وحينئذ تبصرُ جيداً أن تُخرج القذى من عين أخيك» (مت ٧: ٥).

ويذكُر لنا التاريخ أن فرقةً رومانية وثنية، وصلت الى مدينةً إسناً لقتال أهلها. ولكنها قوُبلت بالرحمة من السكان الذين قدَّموا لجنود المعسكر طعاماً وشراباً. رغم فقرهم الشديد، وحالتهم السيئة. فتأثَّر باخوميوس - الجُندى الوثنى - بهذا الموقف، وسأل عن ديانتهم ، وآمن بالمسيح. ثم أصبح راهباً كبيراً ومسئولاً عن رهبنة ذائعة الصيت وصار مرشداً لآلاف الرُهبان!

وقد وجَدَ موسيٌ الأسود (زعيم العصابة والمجرم القاسي) في شخص الأنبا إيسيذورس صدراً حنوناً شجَّعه على التوبة، والنمو في النعمة، حتى فاق كثيرين في الاتضاع والصلاه وعمل الرحمة.

ونقرأ فى بستان الرهبان أيضاً أن شيخاً حليماً أتاه اللصوص ـ ذات مرة ـ وقالوا له ـ: «لقد جئنا لنأخذ كل ما فى قلايتك» فقال لهم بمحبة «خُذوا ماشئتم ياأولادي»! وبعد انصرافهم نظر الشيخ «مخلاة» كانت مستورة بخوص النخيل فأخذها وخرج مسرعاً وراءَهم وهو ينادي «خذوا ماقد نسيتم»! فلما رأوا ذلك منه، تعجُّبوا من وداعته ومحبته وطيبة قلبه، وردُّوا له كل ماأخذوه منه، وقال بعضهم لبعض «إن هذا رجل اللهّ». وكانت رحمته بهم سبباً فى إقلاعهم عن السرقة!

وقد تعامل القديس مكاريوس الكبير مع اللصوص برحمة ومحبة فكسبهم للمسيح وعاشوا معه كرهبان قديسين! وقد قص أحد الخُدّام أن شابا ابتعد عن اللّه وسار مع الأشرار فطرده أبوه من البيت، ولكن أمه الحنون أشفقت على وحيدها ، وحزنت عليه حتى أنها مرضت بشدة، وألحّت على زوجها أن يأتي لها بإبنها ، فأتى به وهو متضجّر منه. فأمسكت الأم ـ في يديها ـ بإبنها وزوجها ، وفارقت الحياة. وهكذا كانت تلك النهاية الحزينة، بداية لتوبة حقيقية للإبن ونوال رحَمة الأب!

+ + +

شروط الرحمَة

يقول الرب «**إني أرحَم من أرحم، وأتراءَف علي من أتراءف**» (خر٣٣:١٩) وبعبارة أخري، فإن الله لا يرحم جُزافاً، ولكن بشروطٍ منها:.

أولاً: إستحقاق الرَحمة:

لاشك أن من يعيش فى الشر غير مُطيعٍ لصوت اللّه، ظالماً لنفسه، قاسياً على غيره، لن يستحق رحمة اللّه فى الدَهر الآتي!

وقد أعطى الرب التطويب للرُحمَاء والمساكين بالروح وتعهّد بأن ينالوا الجَزاء المنُاسِب، فى ملكوته الأبدي، لأن الفاعل مُستحق أجرته!

ويقول المُرنم: «طوبى للذين غُفرَ إثمه، وسُترَت خطيته. طوبى لرجلٍ لا يحسب له الرب خطيَة» (مز٣٢:١ , ٢). وقال الحكيم سليمان «**لاتدع الرحمة والحق يتركانك. إكتبهُما على لوح قلبك، فتجد نعمة في أعين الله والناس**» (أم٣:٣ , ٤).

وقال الملاك ليوحنا الرائى «إكتُب طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن! نعم يقول الروح لكى يستريحوا من

أتعابهم وأعمالهم تتبعهم»! (رؤ١٤ : ١٣).وهكذا سيُجازى الرب كل واحد حسب عمله؛ خيراً كان أم شراً (مت١٦ : ٢٧).

ولهذا فمن الضروري، أن يصنع الإنسان الرَحمة لتتبعه إلى هناك. ويقول الشيخ الروحانى «من يصنع صُلحاً بين المُتخاصمين، يدُعى إبن الله (مت٥ : ٩)، ومن يدّس ويعكر «الصفو» ويُوصل كلاماً شريراً من شخص لآخر، فهو رسول الشيطان، وهذا تهلكه النار». وقال يعقوب الرسول «إن الحُكم **هو بلا رحمة، لمن لايعمل الرحمة. والرحمة تفتخر علي الحكم»** (يع٢ : ١٣). وكأن بالرسول يريد إن يقول أن الرَحمة فوق العدل.

وقال القديس نيلُس السينائي: «ويلٌ للظالم، لأن غناه يفرّمنه، وتلقاه نار لاُتطفأ». وقال الأنبا إشعياء: «من ليست فيه مخافة الله، فهو بعيد عن رحمته» وقال الأنبا باخوميوس: « لا تحزن إذا افترى عليك الناس، بل بالحَرى إحزن إذا أخطأتَ إلى اللهّ». وقال القديس مكاريوس الكبير: «إن الشياطين إذا رأوا إنساناً أهين، أو شُتِم، أو خَسِر شيئاً ولم يغتّم، بل احتمل بصبر، فإنها ترتاع منه، لأنها تعلم أنه قد سلك فى طريق الله». وبذلك يؤهل لما أعدّه اللّه للذين يُحُبونَه.

ثانياً: رحمة الإنسان لنفسه:

إجلس مع نفسك قليلاً، وتذكّر ما تقوده أعمالك من حرمان فعلى من التمتع بأبدية سعيدة، وانفصال عن الله الرحوم، الذى يُحسِن إليك! وتذكّر أيضاً قول مار إسحق: «إن الشيطان مُستعد دائماً أن يُلهينا فى أشياء كثيرة حتى لانجلس مع الله، ومع أنفسنا، وحتى لانشعر بحقيقة ضعفنا، وقدرة الله على إقامتنا».

ويقول يوحنا كاسيان: «بمقدار ما يتقدّم العُقل نحو الصفاء والتأمّل، يظهر للإنسان دنسه، وعدم نقاوته»!

وجريًا وراء الشهوات واللذات العارضة يُعانى الإنسان من كثير من الآلام والأمراض. ويفتقر إلى رغيف خُبز؛ بالإضافة إلى ما يترتب عليها من عار، فى حق الإنسان، وأذى لذويه، وعقاب بَشرى وإلهي! وليت الإنسان يرحم نفسه من الخمر أو التدخين وغيرهما من السموم. ويقول الكتاب : «لا تكُن من بين شريبى الخَمر، بيْن المُتلفين أجسادَهم» (أم٢٣: ٢٠).

ومن ناحية أخري، فإنه بسبب شهوة أخرى ـ كجمع المال مثلاً ـ يُهلك الإنسان نفسه؛ لانه يضطر ـ فى سلوكه هذا السبيل ـ إلى الكذب، أو إلى الغش، واصطناع طرق غير

رحيمة، يُغذيّها الجَشع والطمَع. وهلاك يهوذا الإسخريوطي، هو مثال واضح لكل إنسان لايرحم نفسه من عادة مَحبة المال !

ويقـول الرسـول بولس: «أمـا الذين يُريدون أن يكونوا أغنيـاء، يسـقطون فى تجربة وفَخ، وشهوات كثيرة، غبيّة ومُضرّة، تُغَرّق الناس فى العَطب والهلاك، لأن محبة المال أصل لكل الشرور؛ الذى إذا ابتغاه قوم ، ضلواً عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاعٍ كثيرة» (اتيمو٦:٩ـ١٠) ويقول الرسول فى موضع آخر: «**الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد**، لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً : ومن يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية» (غل ٦:٧ ,٨)، «وماذا يستفيد الانسان لوربح العالم كله وخسر نفسه؟!، أوماذا يُعطى الانسان فداءً عن نفسه ؟! »

وكم من كثيرين لا يرحمون أنفسهم من العادات الضارة، التى تقضى عليهم. فكم جلبَ الغضَب أو الحزن الشديد ـ على ماديات العالَم ـ من موت مُفاجئ، أو من مرضٍ يُذهب بالعقل، أو يشلُ حركة الجسم. وقد حذّر الرب المفلوج، بعدما شفاه وقال: «لا تُخطِئ لئلايكون لك أشر».

وينصحَك الرَب بقوله: «**لاتكن شريراً كثيراً. لماذا تموت في غير أوانك ؟!**» (جا٧:١٧)، وشدّد على ضرورة التوبة،

للنجاة من العذاب الأبدي: «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تَهلكون » (لو١٣:٣). وأول خطوة ـ لرحمة النَفس من الهلاك الأبدى ـ أن يعترف الانسان بخطاياه، باتضاع حقيقي، وبلاعناد لصوت الله. ويقول الكتاب: «مَن يكتُم خطاياه لاينجح، ومَن يُقرّ بها يُرحَم» (أم٢٨:٣). ويقول الحكيم إبن سيراخ: «لاتستحِ أن تعترف بخطاياك، ولاتؤخّر التوبة» (سي٤:٤).

ويقول القديس أبا هور: «التهاوُن يُفقد الإنسان الأملَ فى الخلاص، لأنه أساء الرحمة فى أيام حياته، وجعله يُفكرّ فى أمور العالم الزائلة ويقول أيضا«فى التوبة استئصال للغضب ، وحُسن الرجاء ، وحُب الرَحمة». ومن الحكمة ألا يُقسّي الانسان قلبه (عب٣:٨). وأن يستفيد من كل كلمة نافعة سواء من الوعظ أو القراءة، أو من تجارب الحياة. وقال الرسول بولس: «عظوا أنفسكم كل يوم لكى لأيقسّى أحدكم بغرور الخطية» (عب٣:١٣).

ولنحذر يا إخوتى مَن خداع الشيطان، الذى يحاول جاهداً أن يُثير على التائب، **حرباً من اليأس في الخلاص، أو الشك في مرحم اللّه** . فقد يُشوّه صورة اللّه الرحوم، فيظنه الإنسان إلهاً جَباراً، ينتظر أخطاءَنا، ليؤدّبنا عليها. والواقع أن

اللّه ـ كأب حنون ـ قد يلجأ أحياناً إلى تأديبنا، حينما لا تفلح كلماته الرقيقة، في رجوعنا عن أخطائنا؛ كقول الرسول بولس: «الذى يُحبّه الرب يُودبه، ويجلد كل ابن يَقبله ... فأى إبن لا يؤدبه أبوه»؟ (عب١٢:٦، ٧)

وصدّقونى يا إخوتي، إن تجارب الله رحمة كبيرة بالعُصَاة. فتأديبه ظاهره العذاب وباطنهُ الرحمة «فإنه ولو أحزَنَ يَرحم» (مراثي٣:٣٢)؛ وقد قال الحكيم سليمان: «أمينة هى جروح المُحبّ، وغاشة هى قُبُلات العَدو» (أم٢٧:٦). وفوق ذلك فهى تُخفّف من العقاب الأبدي «إذ قد حُكم علينا نُؤدّب من الله؛ لكى لانُدان مع العالم» (اكو١١:٣٢) وهناك إمتحانات ممُتازة يختبر بها الله إيمان أولادَه، ويُعدّ لهم التداريب المُتدرّجة، التى تُناسِب قامة كلٍ منهم؛ ثم يكافئهُم على قدر اجتهادهم وصبرهم، حسب وعده: «يُجرّبك لكىَ يُحسِن إليك فى آخِرتكِ»(تث٨:٦)؛

وينبغى على التائب، أن يتطلّع دائماً إلى المصلوب، وبذلك لن ييأس أبداً. وقد وضَع داود ـ أمامه ـ مراحِم اللّه باستمرار وقال: «**إرحمني يااللّه كعظيم رحمتك، ومثَل كثرة رأفتك** تمحو إثمي، وتغسّلنى كثيراً من إثمي، ومن خطيتى تُطهّرني» (مز٥١:١ـ٣)

ونلمَس رحَمة الله العظيمة، في دعوته كل التعَابى بالخطايا أن يأتوا إليه (مت١١:٢٨). وقد وعَد **ألا يرفض إطلاقاً** أي واحدٍ منهم؛ مهما كانت ذنوبه كثيرة. أو ثقيلة جداً (يو٦:٣٧). ويتساءل ذهبي الفم قائلاً: «إن كان الله قد تحنّن على المرضى الكثيرين؛ أفما يهتم بمرضى الخطية بالأكثر؟! وإذا كُنّا نسعَى للأطباء، لعلاج الجسد، حتى إذا سمعنا بعدم شفائها نطلب النُصح من الأطباء، أما بالنسبة للروح فلا يوجد فيها مرض يستحيل شفاؤه»!

ويقول القديس مرقس الناسك.«إننا لن نُدان على كثرة شرورنا بل لأننا لا نريد أن نتوبَ». وقال آخر:«الله لن يسألك لماذا أخطأتَ، ولكن لماذا لم تَتُب؟» وبمعنى آخر: «لماذا لا ترحَم نفسك، **في الوقت الذي لا يزال فيه باب الرَحمة مفتوحاً، على مصراعيه**، ولم يحن بعد، ذلك اليوم المَرهُوب الذى ستقف فيه حَتماً أمَام منبر العدل الإلهي، لمحاسبتك بدقة عن جَميع أفعالِك وأقوالكَ؟

وقال القديس غريغوريوس: «إن نعمة الله لايمكن أن تنسكب على النفوس التى تتهرَّب من خلاصِها»، وطوبى للرحماء مع أنفسهم، لأهم يُرحَمون من الله،

+ + +

ثالثاً : الرَحمة بالغير :

تُقرّر القوانين الإلهية، أن الرُحَماء بالغير لابُد أن يرحمهم الله: «لأنه بنفس الكيل، الذى به تُكيلُون يُكال لكم» (لو٦:٣٨)! وقال داود النبى مُخاطباً الرب :«مع الرحيم تكون رحيماً، مع الرجل الكامل تكون كاملاً؛ مع الطاهر تكون طاهراً، ومع الأعوج تكون مُلتوياً» (٢صم٢٢:٢٦ ,٢٧).

وُتعلمنا المسيحية أن الخاطئ (**مريض**) يحتاج إلى علاج، ولا يحتاج ـ فى أحيان كثيرة ـ إلى العقاب، فكم من كلمة طيبة جذبَت كثيرين إلى الإيمان؛ وكم من رحمة بغيرنا قد قربّتهُم إلى الله، ولهذا نهانا الله، عن القسَوة والظُلم، وذكّرلنا أمثالاً وأقوالاً كثيرة للحَث على العطف على الخُطاة، وإعطائهم فرصة أخري، لإثبات حُسن نواياهم، وعزمهم فعلاً على سلوك طريق الاستقامة من جديد!

وفى إحدى المرات ، سأل بطرس الرب «كم مرّة يُخطئ الي أخي، وأنا أغفر له (أسامحه)؟ هل إلى سبعْ مرات؟!» (مت١٨:٢١) فأجابه الحَنُون «لاأقول لك إلى سَبع مراتٍ، بل الى سبعين مرة سبع مرات»!

ويرى ذهبى الفم «إن يسوع لم يكن يقصد عدد مرات

الصَفح، لكن يقصد ما لانهاية» وفى نفس الوقت حَمل ـ له المَجد ـ بشدّة عل تعاليم الفريسيينَ العَسرةَ التنفيذ» (مت ٤:٢٣) ، وصَبّ عليهم الويلات الكثيرة، لأنهم تركوا أهم الوصايا: «الحق والرَحمة والإيمان» (مت ٢٣:٢٣)

وتذكُر سيرة القديس إيسيذورس، أن كل من كان عنده أخ مشاغِب أو شتّام، ويطرده من عنده، كان هذا الأب يأخذه الى قلايتهَ، ويُطيل روحه عليه، إلى ان تخَلُص نفسهً، باحتماله له وصلاته عنه، وابتسامته ومحبته العملية!!

وتظهر الرحمة أيضاً فى معّاملة يوسف الصدّيق لإخوته الذين ظلمُوه، وقَسُوا عليه، دون ذنب. وألقوه فى البئر وباعوه كعبد،ولما جاءت الفُرصة التى كان يمكنه أن ينتقم فيها منهم، لم يُعاملّهم بقسوتهم، بل قال لهم بحنان «لاتتأسّفواً ولا تغتاظوا لأنكم بعتمُونى إلى هنا!» (تك ٤٥:٥) ، وقبّلهم وبكى لرقة قلبه. وبعد ذلك بمّدة طويلة قال لهم أيضاً «أنتم قصدتم بى شراً، وأما الله فقصدَ بى خيراً» ويشهد الكتاب أنه عزاهُم وطيبٌ قلوبهم! (تك ٥٠:٢٠ـ٢١).

ويقول القديس أثناسيوس الرسولى «إهتم بعمل الخير، حسب قُوتك، من أجل الّله، لاسيّما للمُسيئين إليك، ومُبغضيك، لكى تغلب الشر الذى فيهم نحوك» لأنهم مرضى

يحتاجون للعلاج ولس للعقاب!!

ويقول ذهبى الفم «إذا رأيت أعمى سيسقط فى هَوُّة أما تُمدُّ يدك إليه وتسنده حَالاً ؟! وإذا رأيت إنساناً مشرفاً على الغرق؟! أفلا تنتشله من غرقه؟ هكذا عالج نفوس إخوتك المتألمة بداء الخطية، إذ تنقذ نفساً من عبودية الخطية تكون قد رفعت عن نفسك أربطة صعبة من الخطايا العظيمة، وتوجد مُكللاً يوم الدين لأنك أنقذت نفوساً من التعَابَي، وسعيت فى خلاصها» ! «وليس هناك رحمة لمن لايعمل رحمة» (يع ٢:١٣)!!

ويقول القديس غريغوريوس الكبير «إن كان من يخُلِصّ (ينُقذ) أحداً من الموت الجسدً انى - مع أنه لا يَمنع عَنه الموت - اليوم أو غداً - يستحق مكافأة عظيمة ، فأى مكافأة يستحقها من يُخلّص نفساً من الموت الأبدي، ويسبب لها حياة مجد لاتخسره أبداً؟» وبهذا المفهوم يقول الكتاب «من لايحب أخاه يبقى فى الموت، وكل من يُبغض أخاه فهو قاتل نَفس» (١يو٣:١٤ , ١٥)!!

ويقول الرسول يهوذا: «إحفظوا أنفسكم فى محبة الله، منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية، وارحموا البعض مميزين، وخلصوا البعض بالخوف،

مُختطفين (إياهم) من النار» (يه ٢١ ـ ٢٣) ويتساءل ذهبي الفمَ قائلاً :«كيف تطمَع في نوال المَغفرة إذا تضرعت الى الله، وأنت لم تُسامح بعد ذاتك، بعدم مُسامَحتكَ الذين صنعوا بك الشر، فكيف إذن يصفح الله عن هفواتك؟!» ثم يُحذر قائلا: «لنسمع يامَعشرَ غير الرَحومين، والظالمين، لأننا نحن لسنا جُفَاة، على غيرنا بل على أنفسنا، فإن أردَتَ أن تحقد فأنت تحقد **علي نفسك** لاغيرك !! إنك تربط خطاياك لاخطايا غيرك، لأنك مهما فعلت إنما تفعله كإنسان، في الوقت الحاضر، أما الله فليس كذلك، بل يعاقبك أكثر. لقد قال «فكهذا أبى السمَاوى يفعل بكم، إن لم تتركوا ـ من قلوبكم ـ كل واحد لأخيه زلاتهً» (مت ١٨: ٣٤) وهنا لم يقل «أبوكم السماوي» بل قال «أبى» لأنه لايجب أن يسمى الله أباً، لمن له صورة الخُبث، والبُغْضَة للناس! فإن تشبثت بالغيظ والسُخط، فسيلَحقك الضرر، **لأنه لا يستطيع أحد أن يضرُك سوي نفسك»!**

وقال القديس غريغوريوس : «إن كنت غير مُذنبً عند اللهً، فلا تغفر للمذنبين إليك، وإن كنت تعلم أنك مُذنب، **فسلّف الرحمة وقدّمها قدامك، فإن الله يضاعف الرحمة للرحومين**».

وقال مار يعقوب السروجي : «إن زل بك صاحبك، ولم تغفر له، **فبأي وجه تطلب من الله أن يغفر لك؟!** إن كنت مذنباً، فأكثر الغفران لأخيك، وتعال اطلب هكذا من الله لتأخذ» ويقول أيضاً «ليترك الغَنى مالةَ لدى المساكين، أما الفقير الذى ليس له حساب «لدى الغير»، فلا يحتقر أحداً، أو يلطمه. وشخص ثالث يترك غيظاً، ورابع يترك شتيمة، أو كلمة قاسية، من صاحبه، وخامس إهانة، وهكذا ....»!

ويقول القديس أغسطينوس : «إغفروا كل ماعلى الآخرين غفراناً تاماً من قلوبكم. إغفروها من قلوبكم التى يراها الله، فأحياناً يصفح الإنسان لأخيه، لكنه يحتفظ بالإساءَة فى قلبه، **يغفرها بالفم لأجل البشر**، ويحتفظ بها فى القلب، حيث لا يخاف عين الله»!

ويقول فى تفسير الصلاة الربانية «لنقُل كل يوم إغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ويكون هذا القَول بإخلاص قلبي، عالمين أن ما نقوله هو عهد وميثاق. وإرتباط بيننا وبين الله».

ويقول فى مَرضعٍ آخر «إن اللهَ يغفر لنا خطايانا وتعدياتنا المتكررة، **علي شرط أن نغفر لإخوتنا ـ الضُعفاء مثلنا ـ عن إساءاتهم لنا، لذلك علمنا** ربنا يسوع هذا المبدأ

فى الصلاة الربانية، وعاد فأكدّه قائلاً : «فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أبوكم السماوى زلاتكم، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفرلكم أبوكم أيضاً زلاتكم» (مت ٦ : ١٤)

وفى تفسير للآية الذهبية «المحبة تتأنى وترفق» (١كو١٣:٤) قال ذهبى الفم «لسنا نعالج الألم ونشفى جراح الغضب، باحتمالنا الآخرين بنبل، بل باحتمالنا لهم بلطف وتعزية».

وقال القديس باسيليوس الكبير : «من أجل أنك لم ترحمَ الآخرين، فلا يصنع بك رحمة أيضاً. ولأنك أغلقت باب بيتك إزاء المساكين، فلا يفتح لك باب ملكوته. وكما أنك أمسكت بالخير عن البائسين حينما كانوا يطلبونه منك، هكذا يمسك الله عنك الحياة الأبدية التى تطلبها. إنكم ستحصدون مازرعتم، فإن كنتم قد زرعتم المرارة، فستحصدون المرارة. **وإن زرعتم القساوة، فلن تحصدو اسوي الأتعاب القاسية**، والعذابات الهائلة، **وإن كنتم تهربون من الرحمة، فالرحمة تهرب منكم**».

وقد رأى القديس غريغوريوس السريانى «فى رؤيا» أن المجرمين والقُسَاة يعذبون **بنفس** الأداة التى كانوا يعذبون بها الناس فى العالم، ويكون منظر قسوتهم، أمام عيونهم، فى

جهنم باستمرار !

هذا ومن أمثلة الرحمَة بالغير، ماجاء أخيراً بإحدى الصُحف من أن لصاً دخل خلسةً. إلى منزل عامل بإيطاليا ! ولما شعر به صاحب البيت، لم يبلغ الشرطة أو يستعمل سلاحه الناري، بل استعمل سلاحاً آخر، فقد طلبَ منه «أن يركعا معاً، وبدأ يقرأ للص بضع آيات من الإنجيل، تكشف عن مَحبة الله للخطاة، ورحمته بهم، ثم صلّيا معاً، وبعد ساعتين غادر اللص المنزل وقد أغرورقت عيناه، بدموع التوبة، لما لمسه من حنان هذا الانسان، الذى تشبّه بمخلّصه الصالح !

وقد قرأنا أيضاً أن جائزة نوبل للسلام (العام ١٩٧٩) قد مُنحت للراهبة (تريزا) (٦٩ عاماً). التى توجّهت منذ ثلاثين عاماً إلى "الهند"، لكى تُكافح من أجل إطعام وكَساء ملايين الفقراء المعدمين، بغض النظر عن دينهم، وتمكنت ـ بمعاونة فاعلى الخير ـ من إنشاء ٣٢ ملجأ للكبار، ٢٨ ملجأ للأطفال اليتامي، ومستوصف لتوزيع الدواء مجاناً : وافتتحت ٨١ مدرسة ،٦٧ عيادة. وهكذا استحقت ـ عن طريق قلبها الواسع ـ أن تصنع الرحمة للجميع وتنال ـ بذلك ـ تقدير المجتمع العالمي، والأجر السماوى الأعظم، فى يوم المكافأة اوشيعّتها الدولة الهندية رسميا بموكب مهيب.

ومن ناحية أخرى يُصوّر لنا الكتاب ـ فى مثَل الإبن الضال ـ **قسوة الإبن الأكبر**، على أخيه التائب؛ عندما قال لأبيه بكبرياء؛ «ها أنذا أخدمك سنيناً هذا عددها. وقط لم أتجاوز وصيتك؛ ولكن لما جاء **إبنك هذا**، الذى أكلَ معيشتك (مالك) مع الزَّوانى ذبحْتَ له العجل المُسَمّن»! بينما ظهرَ حَنان الأب، فى رَدّه عليه: «يابُنَّى أنتَ معى فى كل حين، وكل ماهولى فهولك، ولكن كان ينبغى أن نَفَرح ونُسُر؛ لأن أخاك هذا، كان مَيتاً فعاش، وكان ضَالاً فوُجِد» (لو١٥:١١ـ٣٢)!

وقد روى أحد الآباء، أن إمرأة مُتدينة، انخدعَت فى زواجها برجلٍ سكيّر شرير، كان ظالماً لنفسه، فاقداً لكل دخله، وظلت المسكينة تُعانى من أذاه وقسوته! وفوق ذلك دخل فى قلبه الشك من جهتها؛ لأنه كان يرجع ليلاً ليرى الضوء مُنيراً فى شقته، وذات ليلة قرر أن يعود مُبكراً، دون أن يمر على حانة الخمر، لعله يُداهِمَ زوجته مع غريب فيقتلهما معاً! ولكنه وقفَ طويلاً أمام البابَ، ولدهشته إستمع إلى صلاة حُلوة ترفعُها الزوجة الحَنون، وأولادها، من أجل هذه النفس المريضة بالخطّية؛ وإذا بالدموع تنهمر من عينيه، ويرجع إلى نفسه ويعزم على التوبة الفعلية، ويحتضن زوجته وأولاده بحنانَ، طالباً منهم الصَفح عن قسوته!

وهكذا أثمرت الرحمة فى توبة هذا الانسان القاسي، وذاب قلبه كالشمع أمام نار محبة الزوجة، وترفُقّها به، وبذلك تحقق قول الرب: « إرم خُبزك على وجه المياه، فإنك تجدهُ بعد أيام كثيرة! (جا ١١ : ١)!

+ + +

صفات الإنسان الرَحيم

أولاً: الرَحمة الممزوجة بالإتضاع والمَحبة:

الانسان الرحيم يتشبه بخالقه الحَنون جداً، فيعذُر الناس، ولا يقسُو عليهم، لابكلمات قاسية، ولا بأحكام صَعبة، بل تراه وَديعاً طيب القلب لايُبغض أحداً، ولا يحزَن من أحد، يحب الكُل ويُحسِن للكل، حتى للمُسيئ إليه، ويبارِك لاعنيه (مت ٥ : ٤٣)!

وهو فى كل موضع ملاك هادئ،عَف اللسان، حُلو الحديث، ينتفع بالنقد، ولا يجرح شعور الآخرين، فى حضورهم، ولايُدينهم فى غيابهم، بل يُصلى من أجل ضَعفهم، مُقدراً ظروفَهم الصحية أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، ومُستواهم الثقافى والروحي. ولا عَجب فى ذلك، لأن الروح القدس ـ الساكن فيه

ـ يَهبـه ثمـاره الكثـيرة من « مـحـبـة وسـلام وطول أناة ولُطف ووداعة وتعفف» (غل٥: ٢٢).

ويقـول القـديس أباهور «الإتضـاع يُشعل المُـحب به بالحنو نحـو الآخرين، فـيحـتـمل كل مـا يأتى عليـه منهم، دون ألمٍ أو تذمُّر».

ويقـول القـديس موسى الأسـود« قـساوة القلب تولِّد الغَـيظ، والوداعة تُولِّد الرحَمة».

والإتضاع رَفيق للرحمة والمحبة، ولهذا تَرى المُتحلى بتلك الخصال، لا يُخاصِم أحداً ، ولا يصيح، ولا يثور لأى سبب؛ بل يُكوِّن علاقة طيبَّة مع كل إنسان، «مما يجعل كل واحد يُباركه» على حد قـول القـديس أنطونيـوس! وتراه أيضـاً لا يُدَافع عن نفـسـه بل يترك الأمـر لله، أو يُشـرك القـديسـين، ورجـال الله للتَّدخُل فـيما يَحدُث من خِلاف، ولا يلجـأ الى مَحاكم العالَم، مثلما فعل أهل كورنثـوسَ، الذين وبخهُّم الرسول بولَس بقـوله «أيتـجـاسـر منكم أحـد له دعـوى على آخـر أن يُحَـاكَم عند الظالـمين، ولـيس عند القـديسـين؟ فـإن كـان لكم مَـحـاكم فى أمـور هذه الحـيـاة، فـاجلسـوا المُـحـتـقـرين (المـتـضّـعين) فى الكنيسة قُضاة لتخجليكم أقول : أهكذا ليس بينكم حكيم، ولا واحد يقدر أن يقضى بين أخوتـه؟! لكن الأخ يُحاكم الأخ؛ وذلك

عند غير المؤمنين!! لماذا لا تُظْلَمون بالحَرى ؟! لماذا لا تُسَلبَون بالحَري؟! لكن أنتم تُظْلِمَون وتسلبوُن الإخوة! أم لستم تعلَمُون أن الظالمين لا يرثون ملكَوت الله» ؟! (اكو٦: ١ـ٩).

والمتضع لا يحتقر الفُقراء، ولا يتعَالَى عليهم بالفكر، أو بالقول، بل يُسوّى بينهم وبين الأغنياء وذوى المناصب، فلا يمتنع عن مقابلتهم، ولا يرفضِ إدخالهم إلى الأماكن العامة، بسبب مظهرهم، أو رثاثة ملابسهم!

ويُشير الرسول يعقوب إلى قَسوة سلوك البعض نحو المساكين، ويقول مُوبخاً: «إن دَخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب، فى لباسٍ بَهي، ودَخل أيضًا فقير بلباسٍ وسخ، فنظرتَم إلى اللابس اللباس البهي وقلتم له: إجلس أنت هنا، وقلتَم للفقير قف أنتَ هناك، أو إجلس هنا تحت مَوطئِ قدَميَّ، فهل لا ترتابونَ فى أنفسكم، وتصيرون قُضاة أفكارِ شريرة؟» (يع ٢:١ ـ).

ونقرأ فى بستان الرُهبان، أن السيد المسيح جاء إلى أحد رؤساء الأديرة، فى صورة إنسان مسكين! فسأل بواب الدير لمُقابُلة الرئيس، ولما توجَّه إليه البواب وجده يُخاطب آخرين، فانتظر حتى ينتهى من حديثه معهم،ثم قال الشيخ للبواب: «دعنا من هذا الوقت»! وعند الغروب زار الدير، رجل غني،

فتلقّاه رئيس الدير بسرعة، وقدّم له طعاماً. ثم شيّعه إلى الخارج، ونسى المسكين. ولم يُقابله!

فأخبر يسوع البواب، بأن يقول لرئيس الدير: «إن كانت لك كرامة، فذلك لأجل تعبك فى الماضي! ولكن خيرات مَلكوتى لن تذوقها»، فعلم الشيخ أنه يسوع، وندم على مسلكه القاسى هذا!

ويقول نيافة الأنبا بنيامين (أسقف المنوفية): «إنك لن تأخذ الرَحمة إلا إذا كُنتَ رحَيمًا كالمسيح، «أقنوم الرحمة». وبأعمال الرحمة، تصبح أنتَ آداة الله لعمل الرَحمات، وتُشعر الناس بالخير، ويُسكني الله فيك ! وقد أعطي الرب الويلات للكتبة والفريسيين، لأنهم كانوا يأكلون بيوت الأرامل ! (مت٢٣ : ١٤)

ويعدّد نيافته مجالات الرحمة بقوله، «هناك رحمة بالجسد (أي بالتصدق علي المحتاجين)! ورحمة للنفسية التعبانه (تعزية مكسور القلب. أو بكلمتين حلوين يرجّعوا الثقة في نفس اليائس)، ورحمة بالغضوب، وتهدئته بكلام لين، وأعمال الرحمة بالنسبة للروح، عن طريق القدوة الصالحة للآخرين، والصلاة من أجل الخُطَاة. وعدم التعصُب والدعوة إلي

الوحـدانيــة. وهي رحـمــة في أقــوي صــورها. «أنا جنبك وانت جنبي، بتسندني وأسندك»

وكــذلك الرحــمـــة في القــضــاء علي الرذيلة، فــمــحــاربة المـخـدرات والمكيـفـات تُصْلِح مـن أرواح الناس، وترّحـمـهـم من تعب العــادة الرديئــة، وكــذلك تعليم الناس الفـضــائـل وفــعل الخير، فـترحـمـهم من العذاب الأبدي، والتـعب الأرضي (تعليم الأمانة إنقاذ للإنسان من العقاب والفشل)، وكذلك الرحمة في الصفَح عـن إسـاءات الغـيـر، مـمـا يشـجعهم علي التـوبة، وعـدم اليأس في الخلاص»[1].

ثانياً : الإحتمال وطول الأنَاة :

يقل الإحـتـمــال بين النـاس، لأسـبــاب عـديدة، منهـا قـسـاوة القلب، وعـدم التـوبة، وبالتـالـي فقُدان السـلام وتعـزيات الروح القـدس. وسـوء التـربيــة، والقـدوة الدنســة، وظروف المـجـتـمـع الصناعي، بما فـيه من مشـاكل، وابتـعـاد عـن الدين وتعاليـمـه! وقــد تنبــأ عنهـم الرســول بولس بقـولـه «إنه في الأيـام الأخـيـرة، ستأتي أزمنةِ صَعبة، لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم محبين للمــال، مــتــعـظّــمين، مــســتـكـبـرين، مــجـدّفــين، غــيــر طائعــين

---

(١) محاضرات في اللاهوت الروحي (١٩٧٨) شبين الكوم.

لوالديهم، غير شاكرين، دنسين، بلاحنو، بلا رضي، ثالبين، عديمي النزاهة، شرسين، محُبين للذات، دون محبة الله» (٢ تيمو ٣ : ١ ـ ٤).

ويقول مار إسحق : «الذي لا ينتفع بالتأديب، تبعُد عنه المراحم الأبوية، والذي يتذمرُ علي التجارب تزداد عليه، والذي لا يتأدب ههنا، ولا ينتفع من التجارب، يتعذَّب هناك بلا رحمة»!

ويقول القديس أو غسطينوس : «الرحَيم هو ذلك الإنسان، الذي بإعانته للضُعفَاء يُعيَنه اللهُ علي تنفيذ ما يصعُب عليه من الوصايا».

وفي تفسيره لوصية تحويل الخد الآخر (مت٥:٣٩): قال «يوصينا طبيب النفوس ـ الرب يسوع ـ باحتمال ضعفات أقرِبائنا، لأجل خلاصهم، لأن شرورهم تنبع من ضعف نفوسهم ومرضها».

وقال مارأغريس : «الغضب هو أسرع كل أنواع الشهوات، فإن الإنسان يثور، ويلتهب ضد من أساء، إليه أو يبدو أنه قد أساء إليه. إنه يغلظ ويقسّي القلب، ويأسر العقل أثناء الصلاة، إذ يُورِد حالاً للذاكرة صورة ذلك المعتدِي، فتنشأ العداوة في

القلب». ويقول أيضاً : «إن الغضب والكراهية يزيدان انفعالات القلب، والرحمة والاتضاع يهدئانها».

ومن نصائح القديس باخوميوس قوله : «إجعل لك سلامة بينك وبين إخوتك، فيسكن الرب في قلبك».

وقال مارإفرآم السرياني «من يشاء أن يعيش في كل موضع بسلام، فلا يطلب الراحة لنفسه، بل الراحة لرفيقه بالرب، فيجد الراحة» !

هذا وتبدأ صلاة باكر «بالأجبية» بنصيحة نافعة لحياتنا العملية، ينبغي لنا أن نتلوها، وأن نتذكرها ـ كل صباح ـ قبل أن نجابه البشر، ومتاعبهم اليومية، وفيها يقول الرسول بولس : «أطلب إليكم أنا الأسير في الرب، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم إليها، بكل تواضع ووداعة وبطول أناة، مُحتملين بعضكم بعضاً في المحبة، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام» ويُضيف الرسول يقوله : «لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ماكان صالحاً للبنيان حسب الحاجة، كي يعطي نعمة للسامعين. وكونو لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين، كما سامحكم الله أيضاً في المسيح» (أف٤:١ـ٣٢).

وكتب الرسول بولس لأهل كولوسي يقول «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين، أحشاء رأفات، ولطفاً وتواضعاً ووداعة، وطول أناة. محتملين بعضكم بعضاً. ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان علي أحد شكوي كما غَفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً»! (كو ٣ : ١٢ ، ١٣)

ومن نصائحه لمؤمني كنيسة الله بتسالونيكي قوله : «شجعوا صغار النفوس، إسندوا الضُعفاء، تأنُّوا علي الجميع» (١تس٥:١٤).

كما نصح مسيحّي روما بقوله «لا تجازوا أحداً عن شر بشْر... إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس» (رو١٢:١٧ ، ١٨).

وقد خاطب الرسول بولس ـ الأخ فليمون ـ بكلمات رقيقة جداً، لكي يقبل عبده الهارب «أنسيمس»، بعد إيمانه بالمسيحية، علي يد بولس «بروما»، ومما قاله الرسول «إن أحشَاء القديسين قد إستراحت بك أيها الأخ... فإن كنتَ تحسّبني شريكاً، فاقبله نظيري، ثم إن كان قد ظلمك بشئ، أو لك عليه دين. فاحسب ذلك عليّ. أرح أحشائي في الرب». ويختم القديس رسالته بكلمات رقيقة أيضاً. إذ يقول «عالماً أنك تفعل أكثر مما أقول» (فل ٧ ، ١٧ ، ٢١).

وفي نصيحة ـ لشخص قليل الإحتمال ـ قال القديس أنطونيوس : «أحسن إلي كل أحد، فان لم تقدر فأحب كل احد، وإذا لم تستطع، فلا أقل من أن لا تبغض أحداً. ولن يتيسر لك شئ من ذلك مادمتَ تحت الماديات». وتتمة لذلك يقول يوحنا كاسيان «أمتْ هواك (محبة الماديات)،وحينئذ تحصل عل السلامة والصُلح».

وقال ذهبي القم «فلنهرَب من داء محبة الإقتناء، لنهرب من جُهنم هذه، لأن شهوة هؤلاء (محبة المال) هي جُهنَّم».

سأل راهب شيخاً، شاكياً إليه أخاه: «ماذا أصنع يا أبي فإن أخي يُحزنّني؟!»فقال الشيخ: احتمله يا حبيبي، فإن الله قادر أن يَرّده، إذا ماراي تعبك وصبرك وأخذك له بالرفق واللين. وإياك والقساوة، فإن شيطاناً لايطرد شيطان! وبرأفتك وصبرك يرجع، لأن الله إنما يرد الإنسان بطول رُوحه، وطيبة قلبه، واحتماله».

ويقول يوحنا كاسيان «لقد منعًنا الله من تقديم التقدمات الروحية (الصلاة) متي علّمنا بأن أحداً يشعر بمرارة من جهتنا قائلاً: «فإن قدّمتَ قُربانك إلي المذبح، وهناك تذكرّت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدأم المَذبح، واذهب

أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ (أي بعد الصَفح) تعالَ وقدّم قربانك» (مت ٢٣:٢٤) ، فنؤجل صلواتنا، ونُسرع بإرضاء إخوتنا، فنقدّم صلوات بلالوم».

وقد تحدّث القديس أغسطينوس، عن احتمال الشهداء لمضطهديهم،

ومما قاله «لقد قَبِلَ اسطفانوس الموت الجسدي بسرور، لكنه أشفق علي موت راجميه روحياً، لذلك طلب لأجل غُفران خطاياهم! وطلب الشهيد «أبيما» من الرب أن يزيد من فترة تعذيبه، لكي يستخدمها لخلاص مُضطهديه أنفسهم»!!

وعزاهُم الرب جزاء رحمتهم، وصلواتهم من أجل الظالمين! فقد اختُطف الرسول بولس - بالروح - إلي الفردوس ، ورأي عظمة الأمجاد العَلَوية (٢كو ١٢:١٥) وكذلك تعزّي القديس يوحنا الحبيب أثناء مُعاناة النَفي في جزيرة «بطمُس» (رؤ ١:٩) فأعلن له الله - في رؤيا - ماسيكون عند إنقضاء العالم، ، والدينونة، ونصيب الاشرار والأبرار!

فما أجمل القلوب السمُوحة، لأنها قلوب سماوية وما أقبح القلوب الغير رحيمة، لأنها قلوب جُهنّمية،. تستحق جَزاء صنيعها!

هذا ويقول القديس أغسطينوس : «لقد أعطي الرب للرحماء رحمة، لأنهم يَقبلُون مشورة حقيقية رائعة، فيعاملُهم الأعظم منهم (الله) بنفس المعُاملة، التي يعاملون بها من هم أقل منهم»!

ثالثاً : عدم الإنتقام :

يقول بولس الرسول: «لاتنتقمُوا لأنفسكم، أيها الأحبَّاء، بل إعطوا مكاناً للغضب، لأنه مكتوب **لى النقمة أنا أجازى، يقول الرب**، فإن جاع عدوك فاطعمه وإن عطش فاسقه.. لايغلبنَّك الشر، بل إغلب الشرَّ بالخير»(رو ١٢: ٢١)

ويقول يشوع ابن سيراخ: «**من إنتقَم يدُركه الإنتقام، من لدن الرب**، ويترَّقب خطاياه. إغفر لقريبك ظلمه لك، فإذا تضّرعت تُمحَي خطاياك!. أيحقد إنسان علي إنسان، ثم يلتمس من الرب الشفاء ؟! أم يرحم إنساناً مثله، ثم يستغفر عن خطاياه؟ إن أمَسك (وضع في قلبه) الحقد وهو بَشَر. فمن يُكفِّر خطاياه؟!» (سي ٢٨: ١- ٥)

وقال أنبا بيمين «الشر. لا يُغلب بالشر و إن أساء إليك إنسان فاحسن أنتَ إليه فإنك بذلك تستأصِل الشر، لأنه لاينبغي أن تُكافئ شراً بشر».

ويقول المفسّرون، أن راجمي اسطفانوس، سيظل هذا المنظر المُرعب أمامهم في عذابهم الأبدي، وكذلك ستظل صورة من يضطهد غيره أمامه في الأبدية!!

ولقد كانت الكلاب أكثر شفقة علي ليعازر المسكين، من الغَني القاسي القلب، إذ كانت تخُففّ عنه حرارة القُروح، بينما نال الغَني جزاء عمله الظالم، فذهب الي موضع العذاب الأبدي وفشلت كل توسُّلاته وصرخَاته، حتي لمجرد التخفّيف قليلاً من عذاب اللهيب (لو ١٦: ١٩ـ٣١)!

ولاشك أن أول إنسان دخل الي الجحيم هو «قايين» قاسي القلب في العالم، الذي لعنه اللّه لظُلمه لأخيه، فعاش قَلقاً، مضطربَ القلب، وكانت تتبعه صرخاتَ أخيه، أينما هرب!

كما نقرأ أنه عند بَركة يعقوب لأولاده، قال عن لاوي وشمعون: «في مجلسّهما لا تحضّر نفسي» وعلّل ذلك بأن غضبّها قد دفعهما إلي الإنتقام؛ أخذاً بالثأر لأختهما (تك٤٩: ٧). وقد قال الرب يسوع: «**لاتقضوا على أحد فلا يُقضى عليكم**» (لو٦: ٣٧).

وإذ الم يستطع المساكين والضعفاء، من التصدي للأشرار والظالمين، فإن اللّه يتولّي هذه المُهمة بنفسه، ويُدين قساوة

القلب، أينما وُجِدَت، ويستجيب لشكوي الملائكة، التي يرفعونَها إليه، نيابةً عن المظلومين (مت١٨: ١٠) فقد تم صلب هامان الظالم، علي نفس الصليب الذي أعدَّه لمردخاي المسكين!! (إس٧: ١٠) وساعد الرب داود الشاب ضد جليات الجبار (صم١٧: ٢٦) وقضي ملاك الرب علي جيش سنحاريب الظالم(٢مل١٩: ٣٥). وأنقذ لوطاً من بين أيدي الأشرار، وأبادهم بالنار!

كما أن الرب يُدافع عن أولاده، ويُظهر براءَتهم، كما فعلَ مثلاً مع الفتاة التي ظلمت القديس « مكاريوس»، فازدادت عليها الآلام، حتي اعترفَت بادعَّائِها الكاذب علي القديس!

ويقول ذهبي الفم :«إن كان اللّه يُطالبّنا بمحبة الأعداء؛ فكم تكون خطايانا إن ظلمّنا إنساناً لم يُخطِئ في حقنا ؟!». ويقول أيضاً « إذا رأيت مسكيناً ظلمه إنسانَ (أو سلب ماله) فلا تُبك علي المسكين الذي فقَدَ ماله، **بل علي الذي أخذه**، لأنه بدلاً من أن يُعطي المسكين، أخذ شروراً، لأنه أعدم الفقير أمور العالم الحاضر، وحرَم ذاته من الخيرات التي لايُنطق بها (في الملكوت)، لأنه إن كان الذي لايُعطي المساكين يذهب إلي جُهنم؛ فماذا يُصيب الذي يأخذ أموالهم ظُلماً؟!» ويقول الكتاب: «من يُجازي عن خير بشر، لن يبرَح

الشر بيته» (أم١٧:١٣). ولا شك أن انتقام الرب من قسوة قايين، ومن ظلم آخاب الملك، وزجته الشريرة ضد «نابوت» المسكين، يدل بوضوح علي كراهيته للقسَوة والعُنف، ووقوفه دائماً ضد الظُلم؛ حتي دون أن يشكو المظلوم إليه. ويُحامي عنه، وهو صامت، وما أجمل قول الكتاب: «الرب يَحكُم للمظلومين».

وقد نزعَ الرب رحمته، عن شاول المالك (٢صم ٧:١٥)، لأنه ظلم داود، بلا سبب. وقاوَم عيسو القاسي القلب، وعاوَن أخيه يعقوب الوديع والحنون والحُبّ.

وقد قال الرب مُحذراً «لا يتسلّط إنسان علي أخيه بُعنف» (لا٢٥:٤٦). وقال أيضاً صاحب الشريعة الموسوية: «لاتضع يدك مع المُنافق؛ لتكون شاهد ظلمٍ» (خر٢٣:١) لأنه لا يتبرأ قُدام منبر اللّه العادل. وقد قال القديس أغسطينوس: «إن العلاج الوحيد للتخلُّص من شرور كثيرة، هو أن تغفر للآخرين، مادُمنا نطلب المغفرة (من اللّه)، وأن نُساعِد الآخرين قدر استطاعتنا؛ مادُمنا نطلُب عَوناً بسبب ضعفنا».

+ + +

رابعاً : عدم الإدانَة :

لاشك أن الذي يُدين غيره هو بالذات لا يستحق رحمة اللّه؛ إستناداً إلي قول الكتاب « لذلك أنتَ بلاعُذر، أيها الانسان؛ **كل من يدين !** لأنك فيما تُدين غيرك تَحكُم علي نفسك . . . »

ويتساءل الرسول قائلاً «أفتظُن أنك تنجُو من دينونة الله؟! أم تستهين بغِنَي لُطفِه وإمهاله، وطول أناته، غير عَالِم أن لُطف اللّه إنما يَقتادك إلي التوبة. ولكنك **من أجل قساوتك (على الآخرين) وقلبك غير التائب تَذخرّ لنفسك غضباً، في يوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة**، الذي سيُجازي كل واحدٍ حسب أعماله»(رو٢ : ١ـ٦) وقال الرسول أيضاً: «لو حكمنّا عليّ أنفسنا ما محُكِمَ علينا»! (اكو١١ : ٣١).

وخطية **الادانة ضد الرَحمة**؛ وهي اغتصاب لحق الله «الدّيان الحقيقي». وتدلّ أيضاً علي عدم المحبة، والرغبة في تجريح الغير، وفضح سلوكهم أمام الآخرين، وتضم - بين طياتها خطايا الكذب والإفتراء والفتنة، والكلام البطّال، وغيرها من خطايا اللسان الكثيرة، والحُكم ظُلماً علي الناس،

لعدم إمكان معرفة نيَّاتهم؛ والكبرياء، والانتقام عن طريق التشهير بالغير، دون إلتماس العذرلهم!.

وقد قال القديس موسي الأسود «لاتكُن قاسي القلب علي أخيك ؛ فإننا جميعنا قد تغلبنا الأفكار الشريرة».

وقال الأنبا تيموثاوس « المَحبّة لا تَعرف أن تَدين رفيقَها، ولا تُكافئ بالسيئات». وفي تفسيره للآية: « كونوا رُحَماء كما أن أباكم أيضاً رحيم » (لو٦:٣٦)، يقول ذهبي الفم « لاتفوتنا الدِّقة التي يستعملها البَشر في قوله« أباكم» ويستطرد بقوله:

«ولا تدُينوا فلا تُدانوا، ولا تقضُوا علي أحد، فلا يُقضَي عليكم. إغفرواً يُغفر لكم. إعطوا تُعطُوا... كيلاً مَهزوزاً يُعطون في أحضانكم» (لو٦:٣٨)؛ لأنه بنفس الكَيل الذي به تُكيلون يُكَال لكم». وقد تُترجم كلمة «إعطوا» بمعني فكُّوا أوحَرروُا الدَّيْن، فالعَطاء المَقصُود هنا هو التسامح؛ **والرحمة في الحكم، علي الآخرين**؛ لأن الروح المُتسامح؛ لا يعرف قياساً ولا كيلاً غير المحبّة ...» (يو٣:٣٤).

وقد سأل شيخاً :«كيف أخلُص؟!» فقال له القديس! «هوذا أنا مُصَّور لك دين اللّه وأريك إياه: أنت تقول إرحمني؛ فيقول لك إرحم أخاك، وأنا أرحمك! وإن قلت إغفر لي؛ يقول لك إغفر

لأخيك ، وأنا أغفر لك ، ألستَ تري أن العِلة هي منا؟!!».

وقال مارإسحق: «الذي فرَش مَراحمُة بلاتمييز علي الصالحين والأشرار بالشَفقة، فقد تشبُة بالله» وقالَ أيضاً «أستُر علي الخاطئ، من غير أن تَنفُر منه، لكيما تحملِك رَحمة الله»..

ويري قداسة البابا شنوده الثالث أن الإدانة مظهر من مَظاهر القسوة في القلب وفي هذا يقول «عجيب أن يحكُم الإنسان علي غيرِه ،وربما بأحكام شديدة جداً،دون أن يدرس معه الأمر، ويعرف وجهَة نظَره أو دون أن يعرِف الأسباب، والدَوافع والخلَفيات، التي دعَته إلي هذا التصُرف. وهكذا ـ بكل قسوة ـ يُصدر حُكماً شديداً، بدون فحص، بدون فهم للموقف، حكماً غيابَياً، رُبما يُبني علي مجرد السمّاعات» !

ويتحدث قداسته أيضاً عن قسوة التشهير بالمُخطئين فيقول: «حيث يشيع أحدهم سُمعة رديئة، عن شخص ما..، ولا يدري إن هذا التشهير، هو لون من القتل الأدبي ! ولكن الشخص الطيبٌ يَعذُر الناس في حُكمه عليهم إن حَكم... أما القاسي فإنه لايجد عذراً، ولا يقبل عُذراً، بل إنه قد يضخِّم الذنب ويُكبّره. ويعتبر هفوات الناس من الأمور الخطيرة التي تستوجب الحُكم. والعجيب أن القُسَاة يدَّعون حُبهم للعدل

والحق.، بينما العدل يقتضي أنْ يقدِّروا ظروف الناس، ومستواهم العقلي والإرادي، وحالتهم النفسية، والأسباب التي دعتهم إلي العمل، ومدي احتمال مستواهم الروحي، لذلك فإن داود يُخاطب الرب قائلاً : «احكم لي بعدلك» لأن عدل الله عدلاً رحيماً : «لأنه يعرف جُبلتنا، يذكر أننا تراب نحن» «مز ١٠٣ : ١٤).

ويضيف قداسته بقوله : «إن الانسان القَاسي، قاسٍ في غضبه، قاسٍ في حُكمِه علي الناس، في الظلم، والتشهير، والإدانة، في تحطيم المعنويات ... الخ. والقاسي لا يتنازل أبداً عن حقه، أو عمّا يَراه حَقاً..، ولايغفر بسرعة، وربما لايغفر ببطء أيضاً. ومهما طالت المُدّة فإن الذنب قائم أمامَه، في بشاعته. لاتمحُوه الأيام، بينما اللّه يغفر، مهما كانَ الذنب، مادامت هناك توبة، واعتراف بالإثم، وتَرْك له! وأن قسوة الإنسان لابُد أن يُقابَل بمثلِها كقول الشاعر:

وما من يدٌ إلا يد اللّه فوقهَا.·. ولاظَالمٍ إلاسَيبُلي بأظْلمِ

هذا ونحدِّث فيما يلى، عن مظاهر القَسوة الأخرى، بين البَشر:

١ـ سُوء المُعاملة والتعذيب للضُعَفاء

من أبشع مظاهر القسّوة تلك المُعاملة الوَحشيّة التي عُومِل بها الشهُداء والمُعترفون، من الأباطرة الرومان، وولاتهم، الذين كانت نهايتهم أليمة، في الدُنيا، وسينالون جزاءَهم العادل في الأبدية!

ويقول قداسة البابا شنودة الثالث: «هناك مُعاملات مشهَورة، يتندّر بها الناس، مثل مُعاملة امرأة الأب، ومعاملة الحَماة، ولو أنها ليست قاعدة! وأيضاً المُعاملة القاسِية التي تلقّاها بعض الشغّالات،في البيوت»!

ويُضيف قداسته بقوله: «إن القَسوة التي تَصدُر من إمرأة، أشدُّ وأكثر مسئولية، ذلك لأنها قَسوة ضد طبيعة المرأة، التي به جبَلها الرَب! »

٢ـ الكلام القاسَى

يقول قداسة البابا شنوده الثالث: «هناك كلام جارح، كلام قاسٍ، كرَجم الحجارة، ويسمعه الإنسان فيخدشَ مشاعره أو يجَرح كرامته أو يُتعب نفسّيته! بل إن هناك كَلاماً قدَ يبلُغ وقعُه من العُمق،أنه يُصيب سامعُه بأمراض جسدية، بضغط الدم أو سُكّر، أو اضطراب في الأعصاب»!!

ومن الواضح أن الانسان سيتبّرر، أو يُدَان، علي أساس كلامه، وأن كل كلمة بطالّة سوف يُعطي عنها حساباً يوم الدين، فكلمة واحدة شريرة يستوجّب قائلها نار جُهنم! (مت ٥:٢٢) وكقاعدة عامة، فإن الكلام الليّن يَنبُع من قلب رحيم. والكلمات القاسية تخرَج من قلب شرير، خَالٍ من المحّبة والشَفقة، لأن من فَضْلَة القلب يتكّلم اللسان!

ومن كلمات قداسة البابا - في هذا المجال - قوله: «فليختَبر كلٍ منكم نفسَه: هل يستخدّم كلاماً قاسياً؟! هل عباراته شديدة؟! هل يضع كرامة الناس في إعتباره، أثناء كلامُه، أم لا؟! هل كلماته حُلوة في أسَماع الناس؟! هناك كلام قاسٍ، قد تستخدمه، ويمكنك أن تستبدله، بألفاظ أخري مَقبولة ، مع الوصول إلي نفس غرضك، ولكن بطريقة مُهذبة، لاتُحَطِم، و إنما تبنّي»

ويستطرد قداسته بقوله: «هذا الخطأ الخاص بالقسوةِ - في الكلام - **غالباً ما يصدُر عن الذين لهم رئاسة أو سُلطَة**... ومن أمثلة هؤلاء الأب ، والأم، اللذان يستخدمان ألفاظاً شديدة، في مخاطبة أبنائهما ، أو المُدّرس الذي ينتَهر تلاميذه بأسلوب غير لائق! أو الطَريقة السَيّئة التي يتخاطَب بها رَئيس مع مَرؤوسيه. بينما يجب علي كل هؤلاء، أن يعُطوا

الصغار المثال اللائق في المُعاملة، والحديث، وحُسن التَخاطُبَ، ولاتطغي علي أحاديثهم روح الأمر والنهَي والتَسلُّط و التَعالي! إن السيد المسيح كان رَقيقاً جداً في مُخاطبة «السامرِّية»، علي الرغم من سُوء حالها (الروحي) فقد قدَّم لها الدَّرس الروحي، في ألفاظٍ هادئة، غير جارِحَة، جعلتهَا تَقْبل تعاليمه»!

وذات مَرَّة أرسل أحد الخُدام بدلته إلي الكَّواء. وعندما ذهب لإحضارها فوجئ بسرقة المَحل، بل ما فيه من ملابس للعُملاء! فخاطبه الخادم بكلمات رقيقة، مملوءة بالرحمة والمُواسَاة والرثاء لحاله، ثم سأله عما اذا كان قد كَوي بدلته قبل سرقتها؟! فأجابه بالإيجاب، فما كان من خادم الرَب الرحيم، إلا أن أخرَج بضع قروشٍ، وأعطاها للكَّواء نظير أجرتِه، مما كان له أثره الطيِّب فيٍ تعزيته في بلوَاه!

العتاب

اللَوم والتوبيخ والتبَكيت:

يقول قداسة البابا شنودة الثالث: «كثرة عتابك، يدُّل علي أن في قلبك شيئاً نحو الناس، وعلي أن قلبك ليس صافياً تماماً نحو الناس، وما أكثر ماأدي العِتاب، إلي علاقات أَسوأ

كقول الشاعر:

ودعْ العِتابَ فرُبَ شرٍ .·. كان أولُه العِتاباَ

وأكثر أنواع العتّاب إتّعاباً للناس، العتاب الذي لايقوم علي أساس، بل هو تَضايُق نشَأ من مجرّد ظنون أو شكوك، أو خيالات، أو تصدِيق لأقوال من الناس وشائعات..»

ويضيف قداسته بقوله : «فلكي ترُيح الناس، لا تشُك في محبتهم. وحتي إذا صدَرت منهم أخطاءُ أعذرْهُم (كبَشر). واتركهم يُوبّخون أنفسَهم، دون أن تُعاتبَهم، وتذكر محبتهم القديمة، فتُريح، وتستريح. وإن عاتبْتهم، فليكُن ذلك بمحبة، وود ولُطف... ، فهناك شخص يجلس إليك، فتتمنّي أن تستمر الجلَسة، مَعه مهما طالت، وآخر تهَرب منه الناس، مهما قصُر الوقت. وهناك من يلومَك ولا تتَعب معه، لأنكَ تُحس المحّبة والإخلاص والصِدق، في كلامه وتري أن لومَه لخيرِكَ»!

ولا شك أن هناك ظروفاً تقتضي العتاب أو اللوم، أو التوبيخ الشديد أحياناً، وربما التبكيُت أيضاً، خاصة ممن له السُلطان علي ذلك، كالآباء والمُربّين، ورجال الدين.

وفي هذا يقول قداسة البابا شنوده: «إن السيد المسيح عاتَب القديس بطرس، علي إنكارِه بأسلوب إمتزَج فيه الحُب

بالعتاب». والتوبيخ يجرَح ويُتعب إن كان أسلوبه شديد وأيضاً إن كانت النفس في ضيق، ولا تحتمل، مثلما حدث «لأيوب» الصدّيق مع أصدقائه الثلاثة».

لذا إختَر الوقت المُناسب، الذي يحتمل فيه الناس كلامَك واشعُر أن كل شخص تكَلّمه هو إنسان حَسّاس، يُمكن أن يُخدّش أو يُجَرح أو علي الأقل يتأثر ويَتعب، فحافظ علي احساساته، ولا تستخدم مَطرقة من حديد، في وقت تَصلُح فيه إشارة من بعيد! وكن رَفيقاً حَنوناً، مُبتعداً عن الأحكا الظالمة». وقد قال الرب يسوع: «إن أخطأ إليك أخوك فاذهب (= إليه)، وعاتبه بينك وبينه وحدكما، فإن سَمِع منك فقد ربحت أخاك» (مت١٨: ١٥). إنه لم يَقُل تكون قد عاقبته أو حكمتَ عليه، بل «ربحته». أي أنه بعد سماع كلمات العتاب الرقيق منك، قد يلوم نفسه، بعد اقتناعه بخطئه.

والرب لا يُريد أن تكون كلماتنا مُجرد عبارات قاسية، مليئة بالشتائم، واللوم الشديد، أو التوبيخ الجارح الذي يهدف إلي التشّفي من المُخطئ، ولكن مُجرد عتاب رقيق مملوء محبة وإقناع، وليس تهديداً. وفي هدوء تام، وبصوت مُنخفض. وأن يكون مَمزوجا بالإتضاع، والابتسامة، وأن يكون في الخَفاء (وليس بانتهار عَلني أمام الغير). وبغرض روحي، هو خلاص

نَفس الخاطئ، وليس مَجدك أنتَ ، أو إظهار فضلك بمجيئك إليه» ويقولَ مار إسحق «الذي يُبكّت خِفية هو طبيب حكيم».

ويقول يوحنا الدَرجي «إن أردت أن تقلع القذي، من عين أخيك، فلا تأخذ آلة ضخمة، مثل الكلام القاسِي، بل استخدّم آله الطِبْ، آله تعليم، بلطف وإصلاح صادِر عن محبة ونصُح أخَوي».

وقال القديس مكاريوس الكبير «إن أردّتَ أن توبّخ إنساناً، ووجدت أن الغضب قد تحرك فيك، فاشفِ ألمَكَ أولاً، ولا تُهلك نفسَك في تخليص آخر». وبنفس المعنيَ، يقول القديس أغسطينوس: «هناك فرق بين الجَلاّد الذي يستخدم ساطوره بلاتمييز، فيهشم اللحم ويكسر العظم بقساوة ضربه، والجَرّاح الذي يستخدم مَشرطه، بهدف الشفاء لا الكَسْر، هكذا يكون الهَدف من التوبيخ والتأديب، شِفَاءً بلاضَرر».

ويقول ذهبي الفم «إن التبكيت، يجب أن يكون قليلاً وبلُطف، وهذا ماكان يفعله الرسول بولس، الذي لما عَزم علي الدخول في موضوع يَمُس الكنيسة، استعمل الوَداعة بقوله: «أتضّرع إليكم أيها الأخوة، بإسم ربنا يسوع المسيح، أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً، ولايكون بينكم إنشقاقات» (اكو١ : ١٠)!! فهو يتضرّع إليهم بإسم المسيح»!

ويقول يوحنا الدَرجي: «إن الخاطئ لايحتاج إلي مَنْ يزدَري به، بل إلي من يُشجعُه علي التوبة ويسوع حبيب الخُطاة، أحتضَنهم، رغم إزدراء المُجتمع لهم، فلم يستنكف من الدخول الي بيت رئيس العَشارين، ولا منَع الخَاطئة من تقبيل قدميه، وعاتب صاحب البيت، عند ما فكرَ في قلبه من جهتها».

ويقول ذهبي الفم: «إن كلمات مُحِب الخُطاة إلي التلميذ الجاحد، المُتمسك بذاتيته: «ياسمعان بن يونا أتحبني ... إرعَ غنمي» (يو ٢١: ١٦)، قد أعطته القوه علي التمَسُك بمحبة مُعلَمة حتي الموت، فلم يُعاتبه بعُنف، ولم يجرح قلبه، بكلمة واحدة، بل سنَدُه بكشف جانباً جميلاً من جوانب قلبه، ألا وهو محبته لسيده، رغم جحوده، فكأنه يقول له : «لاتيأس يابُطرس، فإنني أعلَم محبتك، وأعرف ضعفَك» وإن كان قد وبَخ المُرائين والشكليين في العبادة، فقد ترَفق بالزانية، التي خجلت من مُقابلته، لشعورها بثقل خطاياها. وقد إكتسب المُؤمنون من يسوع ـ الساكن فيهم ـ تَرَفُقه بالخُطاة لذلك استخدَمهم الروح القُدس كالآت لجذبهم إلي حَظيرة يسوع».

ويقول القديس أغسطينوس. «ليكن صُوتك في التخويف كصوت الأطفال (أي باتضَاع وبسَاطة قلب)، كقول الرسول بولس: «إن إنسَبق إنسان فأُخِذ في زلة، فاصلِحُوا أنتم

الروحانيين مثل هذا بروح الوَداعة، ناظراً إلي نفسك، لئلا تُجرَّب أنتَ أيضاً. إحملوا بعضكم أثقالَ بعض، وهكذا تمّموا ناموس المسيح» (غل ٦: ٢٥).

وتعليقاً علي هذه الكلمات عينها، يقول القديس غريغوريوس: «يُريد الرسول أن يقول «عندما تغضبنا خطية الآخرين، يجب أن نُفكرّ في أنفسنا فنرق في توبيخهم. إذ نخشي أن نكون مثل هذه النفس التي سقطت في هذا الشر».

وإنني أهمس في أذنك أيها الحَبيب: «لاتتضايق أبداً من الكلمات التي قد يُوبخك بها والديك، أو إخوتك، أو حتي أصدقائك، أو رؤسائك، أو التي ينتهرك بها أب أعترافك، ولماذا لاتكون فيك تلك العيوب فعلاً؟! فتأمّل جيداً ـ وفي هدوء ـ كلماتهم إليك، وانتفع بها باتضاع وحكمة. ولا تَحزن منهم، بل إحزن حَقاً علي نفسك التي تسير بهذِه النقائِص وأنت لا ترحَم نفسك بالتخُّلص منها أوبالإقلاع عنها!

ويقول القديس أثناسيوس الرسولي: «من يُعاتبك ويُوبّخك علي زلاتك، أحُبه مثل نفسك، واتخذه لك صديقاً»

وقال شيخ قديس: «لأي شئ تُحزن الذي يُعلّمك، وتُبغض الذي يُحزنك، فاعلم أنه ليس هو الذَي ظلمَك وأحزَنك، ولكنه

هو الشيطان. فيجب عليك أن تُبغضَ المَرض، ولا تُبغِض المريض»،

وقال يوحنا الدرجي «لا تتضايق من الذين يصنعون إكليلك».

تأديب الأبناء وشروطه

يقول جناب الأب تادرس يعقوب «إن الأبّوة حُب ومسئولية، هي رعاية واهتمام، وبذل. وليست مجرد سُلطة. والأبناء يتعلمُون من آبائِهم، ليس خلال الأوامِر والنواهي، بل خلال الحياة التي يعيشونها معهم بروح كنيسّية روحية عميقة، والحَزم في الأبوة، يختلف عن القَسوة التي بلا أبّوة».

ويقول القديس أغسطينوس: «التوبيخ يجب أن تسبقه الرحمة لا الغضب».

وقال الرسول بولس: «أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم، بل ربُّوهم بتأديب الرب» (أف ٦:٤).

وفي نفس الوقت لنضع أمام أعيننا هذه النصوص والأقوال التي تَحُثُ علي التأديب: -

+ من يمنع عصَاه يُمقت إبنه، ومن أحبَّه يَطلُب له

التأديب»! (أم ١٣: ٢٤).

+ أدب إبنك، لأن فيه رجاء. ولكن علي إماتته لا تحمل نفسك» (أم ١٩: ١٨).

+ لا تمنع التأديب عن الولد، لأنك إن ضربته بعصاً لا يموت، تضربه أنت بعصاً فتنقذ نفسه من الجحيم» (أم٢٣: ١٣، ١٤).

+ «العصا والتوبيخ يعطيان حكمةً. والصبي المطلق علي هواه يخجل أمه» (أم ٢٩: ١٥)

+ «أيها الآباء علموا أبناءكم بالرب، وربوهم بأدب ومعرفة، بالمسيح. لاتخافوا من انتهارهم وتعليمهم بهيبة، لأنكم لا تقتلوهم إذا علمتموهم، بل تحبونهم» (قوانين/ ابن العسال)

+ «لا تخافوا من أن تنتهروهم، وتعلمونهم الحكمة بحزم، لأن تأديبكم لا يقتلهم، بل بالحري يحفظهم.. ومن يهمل في نضج إبنه وتعليمه يكرهه» (قوانين الرسل ٤ : ٢ ـ ١١).

وقد أوضح القمص تادرس يعقوب، شروط تأديب الأبناء كالآتي:

١ ـ عدم التَسرُع في التأديب لئلا يخطئ الأب في تصرفه.

٢ ـ إظهار المَحبة في التأديب، حتي يتقّبله، من غير تذمُر.

٣ ـ إظهار الحَق قبل التأديب، حتي يأتي بالثَمر المطلوب.

٤ ـ أن يكون التأديب بقدَر، حتي لا يكون جامِداً[1].

إلى أى مدى تكون رَحمة الراَعى بشعبه؟!

+ من الصفات المرَغوبة فى خادم الرب:

«أن يكون بلا لوم ولاضّراب، ولا طَامِع بالربح القبيح، بل حليمًا غيرَ مُخاصِم» (١ تى ٣ : ٢، ٣).

+ وينصح الرسول بولس تلميذَه الأسقف الشاب تيموثاوس قائلاً: «وأما المُباحَثات الغبّية والسخيفة اجتنبّها عالماً أنها تُولّد خُصومَات، وعبدُ الرَب (الخادم) لا يجب أن يُخاصَم، بل يكون مُترفِقاً بالجميع.. مؤدِباً بالوداَعة المُقاومين، عسى أن يُعطيهم اللَه توبة لمعرفة الحق، فيستفيقوا من فَخ إبليس، إذ قد اقتنصّهم لإرادته» (٢ تى ٢: ٢٣ ـ ٢٦)

(١) القمص تادرس يعقوب، الحب العائلى (١٩٧٠) ص ٤٣ ـ ٤٥.

ويقول القديس غريغوريوس الكبير: ليكُن الراعى قريباً من الجَميع، بعطفه عليهم، وليسمُو تفكيَره على الكُل، حتى يستطيع ـ بمحبّته القلبيّة ـ أن يعرف نقائص رعَيته ويحتملها، ومع أن الرسول بولس أُقتيد إلى السماء الثالثة، وتأملَّ أسرار الفردوس (٢كو ١٢: ١ ـ ٦)، وتأمَّل الأشياء الغير مَنظورة، فإنه بعقله الرائى إلى فِراش الناس الجسد انيين، وضع لهم قواعد لعلاقتهم السِّرية القسديه، إتصفت بالرحمة والحكمة كقوله مثلاً: «ليُوفِ الرجُل المرأة حقها الواجب (جنسياً). وكذلك المرأة أيضاً الرجل» (١كو ٧: ٢) وأيضاً يقول: «لا يَسلُب أحدكم الآخر، إلا أن يكون على مُوافَقة إلى حين، لكى تتفرّغوا للصوم والصلاة، ثم تجتمعوا أيضا معاً، لكى لا يُجرّبكُم الشيطان» (١كو٧: ٥).

ويستطرد الناطق بالإلهيات فيقول: «ومع أن بولس يُحلِق إلى أعلى المَراتب ـ بقوة الروح القدس ـ إلاّ أنه سُرَّ ـ فى عَطف ـ أن يكون ضَعيفاً مع الآخرين، فى ضعفهم ـ لهذا يقول: «من يَضعُف وأنا لا أضْعف، ومن يَعثُر، وأنا لا ألتهب» (٢كو١١: ٢٩). ويقول أيضاً «صرْتُ لليهودى كيهودي» (١كو٩: ٢٠). وقد فَعل ذلك، ليس عن طريق ترك إيمانه، بل

بتوسيع مكان محبّته. وهكذا يصير - بتقمّصه شخصية غير المُؤمِن - أن يتعلّم كيف يعطف على الآخرين»!

وبعد ذلك يقول القديس. «وهكذا رأى يعقوب الرّب، واقفاً على رأس السُلّم ألنازِل من السماء، الى الحَجر الذى صَبَّ عليه الزيت. وكانت الملائكة نازلة، وصاعدةً عليه (تك ٨:١١ - ١٨). وفى هذا دَرْس للخُدّام الحقيقيين، إذ لايجب عليهم أن يكتفَواْ بالنَظر إلى الرأس المُقدَّسة للكنيسة، بل عليهم أن ينزلُوا إلى أعضاء الكنيسة (زيارة الشعب)، و يتعطّفوا عليهم! وكان موسى النبى يدخل ويخرج كثيراً فى خيمة الإجتماع. وكان عند وجوده يسمو فى التأملات، وفى الخارج يكرِسّ نفسَه لخدمة الضُعفاء. وهكذا يسوع الحَنون، كان يصلى على الجل، ثم يخرجُ ليخُفّف آلام الشعَب، ليرُينا الطريق الذى ينبغى أن يسلكه الرُعَاة، الذين لاينسون - فى غمَرة إنشغالِهم - أن يُشاركوا بعطفِهم الآخرين، فى احتياجاتهم (الروحية والمادية). وعندما تتّجه الرَعيّة إلى الرَاعي، تجد صَدراً حَنوناً يقودَهم بكلماته المُعزّية، وصلواتِه المصحوبة بالدموع، الى طريق الأمل والَخلاص»

وعن سلوك الراعى - مع شعبه - يقول القديس غريغوريوس أيضاً : «يجب التغاضي بحكمة عن أخطاء الرعية، ولكن مع إشعارهم بهذا التغاضي،وفى أحيان أخرى، يجب أن يستعمل التدقيق الشديد، ولوكانت الأخطاء مستورة وبحسب الحالة، يجب أن يتصرف الراعي، سواء بالعتاب اللطيف، أو بالعقاب الشديد، حتى يخجل المُخطئ من التمادى فى خطئه، وقد يلوم نفسه إذا سامحه الراعى برحمة! بهذا التسامح وبخ الرب اليهودية عندما قال لها على لسان النبى إشعياء : «وممن خشيت وخفت حتى خُنت، وإياى لم تذكرى ، ولا وضعت فى قلبك، أما أنا ساكت» (إش٥٧ : ١١). أى أن الرب قد تغاضى عن أخطائها ، وجعلها تعرف أنه فعل ذلك»

وينصح القديس بأن يقوم الخُدام **بالتوبيخ اللطيف**، أو بالتعنيف الخفيف، **إذا ما ارتكبت الخطية** - ليس عن عمد - ولكن عن **ضعف أو جهل**، ويقول القديس: «هنا يجب أن يقوم الراعى بتوجيه اللوم للمُخطئ، ولكن فى رقة، لأنه ينبغى أن يكون شفوقاً على ضعفات الناس. كما فعل الرب يسوع، ولكن الموقف يتطلب أن يكون الخادم **صارماً مع بعض**

فاعلي الإثم، بما يكون له أثره الإيجابي،على الكنيسة، كموقف بطرس من حنانيا وسفيرة!!(أع٥: ٣-٥).

وهناك حالات ينبغي أن توبخ بشدة، رحمة بالخاطئ الذي لاينتبه لإثمه، أو حينما لا تجدى معه الكلمات الرقيقة، لأن التوبيخ يُذكره بجسامة مافعله، وما يترتب عليه من هلاك أبدىّ. وينبغى أن يتجنب المُعلم التطرف فى حديثه وحتى لايطرح بذلك قلوب الخُطاة فى هُوة اليأس، أو يأتى التوبيخ بعكس المُراد. والذى يلزم أن يتمتلئ قلب رجل الله بالحُب الذى لايَفتُر، والقوة التى لا تَعثُر،والحَنان الذى يتغاضى عن الهَفوات. ولكن فى حدود المَعقول. وهكذا يمتزج العدل والرَحمة، مما يبعث بالطمأنينة فى قلوب المَخدومين ولكن يحملهم - فى نفس الوقت - على إحترامه»!.

ومن الجدير بالذكر، أن قوانين الكنيسة تشترط أن يكون الكاهن رَحوماً، خاصة فى سُلطان الحلّ والربط: «لاتكن مُسرعاً للقَطع (= الحَرْم الكنَسي)، ولاتلجأ إلى المنشار الحَاد الأسنان».!

+ + +

أسباب قساوة القلب وعلاجها:

١ـ ربما يميل طبع الإنسان إلى القسوة **لولادته هكذا!** أو للتدليل(أو لوجوده في بيئة تدعو إلى ذلك). ومع هذا يمكن للإنسان أن يعترف بخطيئته، ويداوم على الاسترشاد بأب إعتراف حكيم، ويبتعد عن البيئة القاسية، ومثالنا في هذا «**موسى» الأسود**، الذى كان قاسياً جداً، وتغيرت طباعه ـ بنعمة الله ـ فأصبح إنساناً طيبا وكريماً ورحيماً بالخطاة، ومرشداً للآخرين!

٢ـ وقد يكون السبب هو **معاشرة الأشرار** القساة القلب، وامتصاص شخصياتهم، وتقليدهم أو التدرب على اساليبهم الظالمة! ويلزم تغيير هذه الصداقات ويبتعد فوراً عن تلك الأساليب، والانتفاع بقراءة سير القديسين، التى تعطى مثاليات مملوءة بالشفقة، بعيدة عن القسوة والعنف.

٣ـ وقد تكون القسوة نتيجة **لعقدة نفسية**، رسخت في الإنسان منذ صغره، نتيجة معاملة سيئة عومل بها في البيت،

فـأرادَ أن ينتـقم لنفـســه بالقـسـوة لـجنس مُـعّـين، أو لأنه إتُـهم بضَعف شخصيته، فأراد أن يغطى ذلك بقسوة مُنحرِفَة، ظنَّها مَظهراً للقوة!

٤ـ وقد تكون القسـوة بسـبب الشهَوة، أو الخطيئة عُمـوماً فـمثـلاً خطايا: الكبرياء والبغضاء، والغـيرة والحسـد،. وحُب الإمتـلاك ، والرّغبة فى الانتقام، كثيراً ما تقود الى القسّوة، وإلى العُنف فى مُـعـاملَة الناس. وبالتـخَلُّص من هذه الخطايا (عن طريق التوبة، والنمو فى النعمة) تزداد مَحبة الإنسـان، الى الرحمة وصُنع الخير، بدلاً من الانتقام، وتزداد باستمرار شفقته على الخُطاة مثله

٥ـ وقـد تكون القـسـوة بسـبب **تغيرُ مثَالْيات الانسان، وخَطأ أحكامه**، على بعض الأمـور. لذلَك يجب على رجـال الدين، والآباء والمُـعلمين، أن يُعَـرِفُـوا الناس مـاهو مـعنى «القوة»، ومعنى «الحَزم»، ومعنى «الحق والعدالة» ... الخ ، حتى تُرسَى أحكامَهم على قواعد سليمة، لاتنحرف.

مقاييس الضَعفِ والقُوة في المَفهوم المَسيحى:

كثيراً ما تكون مفاهيم الناس عن الضعف والقوة، مفاهيماً خاطئة، فقد يُحاولون أحياناً أن يجدوا مُبَرِراً لتصرفاتِهم الطائشة، المَصحوبة بالعُنف والقسوَة. أو مُحارَبة فضائل مُعينَة كالرَّحمة وطول الأناه، والإتضاع، بزعم **أنها خنوع وضَعف**، ولكنها فى الوَاقع قوة عظيمة. فقد كان الشهداَء والمُعترفَون أقوى من مُعذبّتهم الذى كانوا قُساةً عليهم، وكان السيد المسيح أقوى من صالبيه، الذين غلبتهم خطايا الظُّلم والقسوة والشهادة بالزور، وغيرها، وكان «قايين» - **فى قتلِه لأخيه** - ضعَيفاً مهزوماً، لأن خطايا الحَسد والغيرة والقتل، قد غلبتّه، بينما كان «هابيل الصدِّيق أسمَى منه برحمته ومحبته.

وكثيراً مايظنُ الانسان أنه قد انتصَر بقوته وجبروته، ويفتخر بإعجاب وكبرياء - أنه قد أخذَ بثأره، من فُلان، أوَ أنه كَال الصَاع صاعين، أو أنه رَدَّ الشتيمة بالضرب، أو بالتشهير، والفضيحة، وهو فى حقيقة أمره **إنهزَم من نفسه**، التى لم يستطيع أن ينتصر على رَغباتها الشريرة، ورغبتها فى الإنتقام. وبالتأكيد فإن الشيطان هو **المنُتصر الوحيد فى** مثل هذه الحالات وصَدق سُليمان القائل «الرجل الصبور أفضل

من القـوي: والذى يكبح غـضبـه أحسـن من فـاتح مـدينة» (أم ١٦: ٣٢) بالسلاح.

وبنفس القـيـاس، فـإن هيـرودس المَلك لم يكن أقـوى من يوحنا المعَمدان، لأنه كان يخشاه، حتى بعدما قطعَ رأسه، إذ لما سمع عن يسوع خافَ جداً، لأنه ظن أن يوحنا قـد قـام من بين الأموات!!

أيهـا الحـبـيب... إن الذى يلطمك على خَّدك فـتُـدير له الآخر(تلوم نفسك)، أو لاتُعامله بمثل يقسوته.... هل يظن أنه انتصر، وأنتَ ضَعُفَتَ؟! **كلاً. لقد هزمه غضبه وغيظه، وعـدم سـيطرته علي أعـصـابه، وانتـصـرت أنتَ باحتمالك، وحبك له.** ومسكين حـقـاً من يظن أنه أقـوى بلسانه، أَو بيده، أو بما لديه من سُلطه للإنتقام، فالمحتمل هو **الأقوي** دائماً، والرَحيم هو الأسمَى منزلةً عند الله، القائل: «طوبى للرُحماء لأنهم يُرحَمون» فالعنف ضعف، والاحتمال قوة.

ويقول الرسول بولس: «يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضـعف الضـعـفـاء (الخُطاة)ولانرضُى أنفـسّنا (التى تميـل للانتقام)..» (رو ١٥: ١)

ما موقف المسيحية من العُنف؟!

المسيحية هو بلاشك ديانه الرّحمة وهو لاتُقَرّ الإرهاب، من أى نوع كان ، بل تدعو إلى إستخدام الحكمة والهدوء والسلام، والسلوك بلُطف مع الجميع. وقال الكاتب الإيطالى ماركيزي: «إن الاقناع أقوى من العُنف. ويقول قداسة البابا شنوده الثالث: «لقد جاء السد المسيح داعياً إلى الخير، بغير عُنف، فلم يرغِم الناس على عَمل الخير، بل يُحببّهم فيه، ويُسّكِنه داخل قلوبهم، وعواطفهم، ولم تكن غايته أن يكونوا عبيداً يسيرُون بالخَوف، بل يخضعون للّه بالحُب، وليس بالطاعة للعُنف. وإذا أحبَّ الإنسان الخَير لذاته، فإنه يعمل دون ضغط عليه، من عُنف خارجي، ودون خَوف من عقاب، ودون سعيٍ إلى ثواب، أو مديح أو أجر من أى نوع».

ويقول قداسته أيضاً: «العُنف لايحُبه أحد من الناس، بل يكرهونه، وينفرون منه، ومن العُنفَاء، وفى نفس الوقت يحَبّون الوّداعة، والطيبة والرِقّة»

ويستطرد قداسته بقوله: « .... والعنيف إذا وصّل الى غرض، **يكون وصوله مُؤقتاً، وإن ابتعد عن العُنف زال كل ما وصل اليه** ! لذلك فكثير من العُنفاء، يستمرون هكذا طول العُمر، ويخافون أن تفشل أمورهم، إن تركوا عُنفَهم، ويخافون إنتقام الغير، وغضبهم فى نفس الوقت. وقد كان العُنف سلاح الطُغاة فى كل جيل وأيضاً سلاح الإرهابيين والمتمردّين والقُسَاة الذين يُرغِمون الغير على عمل شئ ما دون أن تكون قلوبهم راضية أو عقولهم مقتنعه به فقد يُولِدّ العُنف خضوعاً لنظام مُعّين، أو احتراماً لقانون ما. ولكن لايؤسس قلباً نقياً يُحب الخير»!

كيف تُريح الآخرين ؟!

كان يسوع يريح الناس ، بكافة الوَسَائل. ونحن أيضاً ينبغى لنا أن نرُيحَهم فنريّحهم. وهناك وسيلتان لريح الناس، **إحداهما سلبيّة** وهى حُبك ومعونتك لهم، **والطريقة الثانيه إيجابية ، وهي أن تبعُد عن كل ما يُتعّبهم كالآتى:**

١ـ بالطاعة (المهَاودَة) فالشريك المُخالِف شوكة فى حَلق من معه! (والمخالف حاله تالف).

٢ـ لاتتَعود على كلمة «لا» ولا تكُن معُانِداً مُتَشبثاً برأيك فقط.

٣ـ تَقَبل الرأى الآخر، بلاجدال طويل، يُتعِب أعصاب الغير (فى ٢: ١٤)

٤ـ لاتأخَذ تصرّفاُت الغير، مجالاً لجدال صعب كأنك مُحقِق ولستَ صديقاً لهم!

٥ـ كُن بشوشاً، وابتعد عن الغضب والنكد، والملامح العَبوسة!

٦ـ لاتكن سريع التضايُق من كل كملة، فالذى يَغضب من أقل أمر، لايستطيع أحد التعامُل معه، بل تراهم يتحَاشُون الحدَيث معه، خوفاً من الصدام به أو من النكد، ومن العِراك!

٧ـ المُهم أسلوب التخاطُب، وعَرضْ الفكرة، بطريقة جيدة. خُذ مثلاً حديث الرّب يسوع مع «السامرِّية» فقد كان **هادئاً وهادفاً وغير جارح**، ولهذا قَبِلَت كلامه.

٨ـ إبعد عن الضغط والإلحاح، فكثرة الحَديث فى نقطة واحدة تُتْعِب الناس، وكثرة الضَغط لاتُعطى الفُرصَة للتفكير

والتدبير، ورغبتك في أن يُسرع الغير إلى استجابتك (دون النظر إلى ظروفهم)، يؤدي الى تحاشي لقائك خوفاً من إلحاحك!

٩- لاتُتعب غيرك بكثرة الطلبات التي فوق طاقة الغير! فقد خفَّف اللَّه وصاياه، في العهد القديم، وخفَّف الرسل على القادمين إلى الإيمان من الأمم (أع١٥) وقال الرسول بولس: «سَقَيتكُم لبَناً لاطعاماً لانكم لم تكونوا بعد تستطيعون» (اكو ٣:٢)

١٠- عدم إرهاق الغير جَسدياً أو نفسياً.

١١- لاتُتعب الآخرين بالسَيطرة، وكثرة الأوامر والنَواهي، والكبرياء.

١٢- لاتُتعب غيرك بالإهمال والتَرك، وعدم الاهتمام بهم.

١٣- لاتُتعب الغير بعدم تقديرك لظروفهم المالية، أو الصحّية وخلافها.

١٤- لاتُتعب غيرك فكرياً، بأخبار مُتعِبة أو بالإلحاح عليه في معرفة أسراره، أو أسرار غيره!

ويقول قداسة البابا شنوده الثالث: «ليكن حديثك مُوَجهاً الى قلوب الناس وعقولهم لا إلى أعصابهم، وإن كُنتَ رَقيقاً معهم فَستريُحَهم، وتستريح أنتَ أيضاً. وإن لم تستطع أن تُريحَ التَعابَي، فعلى الأقل لاتَتعب المُستريحين»

ويضيف قداسته بقوله: «هناك من يَمُّر على الناس كالنسيم وآخر يمر كالعاصفة وهناك من يمُّر عليهم كالزلزلة ـ أو البركان ـ ينُفثُ حِمَماً.. فهل أنتَ نسيم أم عاصفة أم زلزلة ام بركان؟!»

العَطاء والرَحمة

الإمتناع عن العطَاء ونتائجه.

يُقسّى الكثير من الأغنياء قلوبَهم بسبب جشعهم، وطمعهم، ومحبتهم للمال وإكتنازه وقد لايتصدُّقون على المساكين بمبالغ مُناسبة وقد ورد فى حديث الرب يسوع عن «الغنى الغبي» (لو ١٢ : ١٦)، وعن الغنى وليعازر، مايدل على قسوة بعض الأغنياء، وأنه لهذا يَعَسُر دخولهم الى الملكوت. وقد صبَّ

عليهم الرب الويلات الكثيرة (لو ٦:٢٤ . ٢٥)، وقال «إن دخول جَمل من ثقب إبرة أيسَر من دخول غنى (من القُساة القلب) إلى ملكوت السموات»!!

ويتساءل ذهبى الفم قائلاً: «إذا قُدِّمَ مُجرم للمُحَاكَمة أفلا يدفع كل ماله فى سبيل إنقاذ رقبته؟! هكذا فلندفع حتى نَخلُص من العذاب الأبدي».

ويتساءل يوحنا الحبيب قائلاً : «من كان له معيشة العالَم ونظراً خاه محتاجاً، وأغلق أحشاءَه عنه، فكيف تَثُبت محبة الله فيه؟!» (١ يو ٣ : ١٧). بينما يحمل الرسول يعقوب على مكتزى الأموال بقوله : «هلُم الآن ـ أيها الأغنياء ـ إبكوا مُولْولين على شقاوَتكم القادمة. غناكم قد تهرَّأ، وثيابكم قد أكلها العث، ذهبكم وفضتكم قدصَدِئا، وصدأهما يكون شهادة عليكم! ويأكل لحومكم كنار» (يع ٥ : ١ ـ ٣)!

ويقول ذهبى الفم : «كما أن البطن الرديئة إذا حجزت الغذاء ولم توزعه، يتلف الجسد كله ! هكذا الأغنياء الأردياء، حجزهم لذواتهم ما يملكون يهْلكهم».

وقال أنبا إشعياء : «إعطِ المحتاجين بعين واسعة، حتى لا

تحزن بين القديسين، لأن قلة الرحمة تعبّر على أننا لا نحب اللهّ». وقال أيضاً «لنلازم محبة المساكين، لنخلُص من حُب الفضة».

ومن أمثلة عدم الرحمة بالمحتاجين «أن غنيًا ذهب ليُودع أموالاً كثيرة بالبنك، فقابله فقير واستعطفه، فزجره وأمرَه بالإنتظار حتى يخرُج. ولما عاد الغنى من البنك وجد زحاماً حول ميت لم يكن ـ فى الواقع ـ سوى ذلك الفقير البائس، الذى مات من شدة الجوع. بينما الغَنى القاسى القلب يُخزنّ أموالَه الطائلة، ليتركها لغيره بعد موته، متجاهلاً صوت الرب القائل : «لا تمنع الخيَر عن أهله حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله» (أم٣:٢٧).

وقوله : «ظالِم الفقير يُعيِّر خالقه، ويمجّدُه راحم المسكين» (أم١٤:٣١).

ويحذّرنا الكتاب بقوله : «لا تقسِ قلبَك، ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير، بَل إفتح يدك له، واقرضه مقدار ما يحتاج إليه. واحترز ألا تعطيه فيصرخ عليك إلى الرب، فتكون عليك خطيِّة. إعطه ولا يسوء قلبك، لأنه بسبب هذا الأمر، يباركك

الرب إلهك فى كل أعمالك، وجميع ما تمتد إليه يدك» (تث١٥: ٩، ١٠).

ثمار الرحمة العَملية «العطاء»

+ الرحمةَ وغّفران الخطاياَ :

قال القديس نيلوس : «لتكن رحيّما على المُحتاجين ـ من تعبَك ـ لكيما برحَمك الله ويّعينك. إصنع الخيّر بالمساكين، فإنهم يرُضونَ الديّان، عوضاً عنك».

وقال أيضاً : «لا تحولّ وجهكَ عن دموع المسكين لئلا تُحتَقَر دموعك فى زمن الشدة».

وكتَب القديس إمبروسيوس يقول : «إن تذكُر أحدكم فى قلبه أنه قد ظلَم أخاه، فى شئ، فليكُن عادلاً، ويرُدّ لأخيه ما ظلَمه به، وليس من حقك أن تستبقى نصيب الرب. لقد أعطاك تسعة أعشار، وأخذ لنفسه عُشراً، فإن كنت لا تعُطى الله عشوره، سيأخذ التسعة أعشار التى لك، ومن لا يعطى الله عشوره الواجبة، ومن لا يُرد لأخيه ما اغتصبه منه، فهذا إنسان

لا يخاف الله، ولا يعرف معنى التوبة! ويقول الرب : فارق خطاياك بالصَّدقة وأثامك بالرحمة بالمساكين» (د ١ ٤ : ٢٧).
وتعلمون أيضاً: أن الماء يطفئ النار الملتهبَة، والصدَقة تكفِّر الخطايا ابن سيراخ ٣ : ٣٣).فليعط كل واحد منكم للمحتاجين قدرَّ طاقتهِ، فالذى عنده كثير فلْيُعطِ كثيراً، والذى عنده قليل فليعطِ قليلاً، كما علَّم طوبيا البار ولده قائلاً : «تصدَّق من مالك، ولا تحوِّل وجهكَ لفقير، وحينئذ وجه الرب لا يُحوِّل عنك. كن رحيماً على قدر طاقتك. إن كان لك كثير فابذل كثيراً، وإن كان لك قليل فاجتهد أن تبذل القليل، عن نفسٍ طيبَّة، فإنك تدَّخر لنفسك ثواباً جميلاً، إلى يوم الضرورة» (طوبيا ٤ : ٧ ـ ١٠) فلنصنع الخير لكى يرفع الله غضبه عنا! أما الذين لا يصنَعون أعمال رحمة فإنهم حتماً سيسمعون ـ فى ذلك اليوم ـ قوله : «إذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية» ! وكل ما توفرونَّه من مصروفات المنزل ـ أثناء الصوم ـ ينبغى أن يُعطى كله للمحتاجين، ولا تظنّوا أنكم توفرونَّه لأنفسكم».

وعن عمل الرحمة (الصدقة)، وعلاقتها بصفح اللهٌ أيضاً

يشـيـر القـديس أغـسطينوس، الى قـول الحكيم سليـمـان : «بالرحمة والحق يُستَر الإثم» (أم ٢٦ :٦)

وقول طوبيا : «الصدَقة تنجيّ من الموت (الأبدي) : وتطهّر من الذنوب، وتؤهّل الإنسـان للرحمـة، ونوال الحـيـاة الأبدية» (طو١٢ : ٨ ، ٩)»

«وقـول يسـوع : «إعطوا مـا عندكم صـدَقـة، وهوذا كل شئ يكون لكم نقـيّـاً» (لو١١:٤١). ويضـيـف القـديس بقـولـه : «فالصّدقة تعلن رحمتنا لإخوتنا، فتؤهل ـ بالطبع ـ لغفران اللهً لخطايانا، لأنه طوبى للرُحَماء لأنهم يُرحمُون» (مت ٥ : ٧)

وقال الرب للمّحسنين : «تعالوا يا مباركى أبى رثوا المُلك، المعـَد لكم منذ تأسيس العالم ... لأنى جعُت فأطعمتمونى ...». «ولأن الحُكم بلا رحـمـة لمن لا يعـمـل الرحـمـة» (يع٢:١٣). وقـد وعـدَ الرّب أن كل من «سـقى أحـد هؤلاء الصغار (المساكين) كأس ماء بارد فقط لا يضيع أجرُه» (مت ١٠ : ٤٢).

وقال يسوع« إذا صنُعَت ضيـافـة فادُع المسـاكـين الجُدع

والعُرج والعُمي، فيكون لك الطوبي، إذ ليس لهم ما يكافئوك، لأنك تكّافأ فى قيامة الأبرار»(لو ١٤ : ١٣ ، ١٤). كما أكدَّ الرب أيضاً أن التضحية بالجهد، والوقت، من أجل خدمة النفوس الضَالة لها مكافأة، أضعافاً مضاعفة، فى ملكوته الأبدى (مت ١٩ : ٢٩) : لأن مكافأة يدّى الانسان تُرُدله» (أم ١٢ : ١٤).

وقد روى البستان، أن رجلاً من أهل دمشق، ـ فيما هو مَاض فى طريقه ـ وجدَ إنساناً ميتاً عُرياناً، ملقى على قارعة الطريق، فرحَمه وخلع ثوبه من عليه وألقاه على جسد الميت. وبعد أيام، وقعَ من على دابته فانكسرت رجله، وقرر الأطباء أن رجله قد فسدت وأنهم سيقطعونها فعلاً، فى اليوم التالى فحزن ولم ينم. وإذا بإنسان يدخل إليه من الكوة. فأعلمه بما سيجرى له، وشكا له حاله، وأراه رجله، فمسحها الضيف بيده، ثم استند عليه المريض، فقام وسار! وقال له ذلك الغريب : «ياأخى إن الرب قال فى إنجيله المُقدَّس : طوبى للرُحماء لأنهم يُرحمون» ولما استعلَم منه المريض عن إسمه، أعلمه بأنه هو ذلك الميت الذى كان مَلقياً على الطريق، وأراه ثوبه الذى

وضعه عليه، وقال له إن الرب أرسلني لأشفيك، فاشكرهُ وأعمل الرّحمة، فإنها تخلّصك من الآفات. والرب يرّحمك»!

ولا شك أن الإنسان الذى يسّمو بفكره، عن الأرضيات، يتعلّق قلبه بالسماويات ويصنع أثمارها.وفى هذا يقول الرسول يعقوب : «إن الحكمة التى من فوق فهى أولاً طاهرة، ثم مسالمة مُترفقة، مُذعنة، مملوءة رحمة، وأثماراً صالحة» (يع ٣ : ١٧).

وقد قيل أن الملك الرحيم «بروتسُ الإنجليزى كان يعول يومياً ألف فقير، ويدّعوهم من أعز حاشيته! وكان يأخذ الفقراء معه حيثما يذهب، وكان يقول : «أفتح بهذا الجيش ملكوت السموات»! وكانت حياة الطبيبين الشهيدين «قزمان ودميان» عبارة عن سلسلة طويلة من أعمال الرحمة بالمَرضي، من الوثنيين! كما أنهما شفيا الوالى الظالم، الذى عذّبهما عدة مرات!

ويقول القديس أغسطينوس : «إن الذين ينقذون البائسين مطّوبين، لأن عملهم هذا يرتد إليهم بطريقة يتحررون بها من البؤس». وقال أيضاً «مشورتى لكم هى : «إعطوا الفقراء

فيكون لكم كنز فى السماوات» . (مت ١٩ : ٢١)، تمتلكون هناك بلا هم» ويضيف بقوله : «إن الفقراء ليسوا سوى الحَمالين الذين ينقلون أمتعتنا من الأرض إلى السماء»!

ويقول الرسول بولس : «لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأن بذبائح مثل هذه يُسَر الله» (عب١٣:١٦)وقال الرسول يعقوب: «إن الديانة الطاهرة النقّية، عند الله الآب، هى افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسَه بلا دنس من العالَم» (يع ١ : ٢٧).

ويقول القديس يعقوب السروجى : «إن الله وضع ملكوته على أبوابكم : أعطوه كسرة خبز، واشتروا ملكوته.... بالثياب البالية غير المطلوبة يعّوضك لباس المجد. إطرح للمحتاج من فضَلات عشائك، وارحمه لتتنّعم مع ليعازر، عند ابراهيم. أخرج للعطشان كأس ماء بارد، وخذ لك الأجرة بغير حد ... إستأجر المساكين فيعدّون لك مكاناً عالياً فى عالم النور».

وقال القديس كيرلس الاسكندرى : «إن رحمّنا الآخرين فلنا أعظم مكافأة، فقد وعدَنا بالكيل الملّبد المهزوز» !

وقال الرسول بولس : «من يزرع بالشح فبالشح يحصّد،

ومَن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد. كل واحدٍ كما ينوى بقلبه، ليس عن حزن أو اضطرار، لأن المعُطِي المسَرور يُحبّه الرب» (٢.كو ٩ : ٦).

وقالت القديسة سارة : «جيد أن يصنَع الإنسان رحمة، ولو من أجل الناس، فيأتي فيما بعد إلى أن يُرضي اللهَ».

ويذكر لنا التاريخ الكنسي، إن البطريرك القبطي «يوحنا الثاني» (البابا ٤٤) المدّعو «بالرحَيم»، خصصَ يومين أسبوعياً لخدمة الفقراء بنفسه، وزيارة المرضي!

والأنبا صرابامون «أبو طرحه» أسقف المنوفية، في القرن الماضي، كان من عادته أن يخرج متنكراً ليلاً ليقدم المساعدات للعائلات التي تخجل من أن تطلب صدقة.

ولا يتسع المجال هنا لذكر أعمال الرحمة الكثيرة والمتنوعة التي صنعَها الأنبا إبرام» أسقف الفيوم والجيزة، التي خلدّها التاريخ الأرضي، وقيدها اللّه لحسابه، إنتظاراً لمكافأته في يوم المجازاة

هذا وتروى سيرة القديس الرحيم الأنبا أغاثون أنه إلتقى

يوماً برجل مجزوم، حمله طواعيةً على كتفيه، فى عدة أماكن أمره المريض بالذهاب إليها، وحقق له كل طلباته الغريبة، ثم إتضح للقديس أنه لم يكن سوى ملاك الرب جاء لامتحانه!

وقد بكت نسوة وأرامل كثيرات، عند موت «طابيثا» التى كانت تصنع لهن الملابس مجاناً. وقد شهد عنها الكتاب بأنها. «كانت مملوءة أعمالاً صالحة وإحسانات» فذهب إليها الرسول بطرس، وصليٌ من أجلها، فأقامها الله من الأموات» (أع٩:٣٦:٤١) ويقول الكتاب : «طوبى لمن يتعطف على المسكين، فى يوم السوء يُنّجيه الرب (مز ٤١ : ١). وقال أيضاً «من يرحم الفقير يقرض الرب، وعن معروفه يجازيه» (أم ١٩ : ١٧) ويقول الوحى الإلهى محذراً : «من يعطى الفقير لايحتاج، ولمن يحُجب عنه عينيه عليه لعنات كثيرة» (أم ٢٨ : ٢٧).

+++

الرحمة واستجابة الصلوات :

يقول الرب : « من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، فهو أيضاً يصرخ ولا يُستجاب» (أم ٢١ : ١٣).

ويقول الشيخ الروحانى : « من يترحَّم (يتصدّق) على إنسان فإن بابُ الرب مفتوح لطلباته كل ساعة».

وقال ماراسحق :«إن صلاة الرحومين لا يمكن إلا أن تَرقَى للسماء».

وقال ذهبى الفم :«الرحمة تصعد بالإنسان إلى علو التسامح، وتعطيه دالة عند الله، كأم الملك التى تتشفع لدى إبنها، لأجل كل من يطلب منها»!

ويضيف بقوله : «لأن الرحمة مفضلة عند الله، فهى التى جعلته يصير إنساناً، لأجل خلاصنا»!

ويقول القديس كبريانوس :« إن من لا يرحم ، لايستحق مراحم الله، ولايحصل على أى نصيب من العطف الإلهى بصلواته».

وقال القديس موسى الأسود : «أحِبْ المساكين لتخلُص بسببهم، فى أوان الشدة».

ويروى القديس زوسيما أن فتاة وثنية من الاسكندرية مات والداها وخلفا لها ثروة كبيرة وذات يوم رأت خارج بستانها رجلاً يريد أن يشنق نفسه، يأسا من كثرة ديونه! فلاطفته الفتاة، وأثنته عن فكرة الإنتحار، بعد ما تعهدت له بسداد ديونه كلها! وبذلك أنفقت معظم ثروتها. ولما ضاق بها الحال، وإذ لم يكن لها ما يعولها، باعت جسدها للدنس، ولكن رب الرحمة والحنان لم يشأ لها هذه الحياة، فسمح لها بمرض شعرت على إثره بخطيتها الثقيلة، وقالت لجيرانها : «إعملوا معى رحمة، واسألوا البابا أن يجعلنى مسيحية».

ولكنهم تهاونوا وقالوا من يقبلها، وهى شريره بهذا المقدار؟! ولكن ملاك الرب جاءها فى صورة الرجل الذى صنعت معه الرحمة، فأعلمته بمرادها. فأحضر ملاكين آخرين، حملاها إلى الكنيسة، وتمثل الثلاثة بصورة أشخاص من ذوى الجاه، المعروفين، وطلبوا من الكاهن تعميدها بضمانهم شخصياً! وهكذا قبلها الرب وغسلها من ذنوبها! ولما رآها

جيرانها بملابس بيضاء، سألوه عما حدث، وأخبروا البابا الإسكندري، الذى مجَّد الرب الرحوم، على رحمته المتناهية، وعدم نسيانه الخير الذى يصنعه الإنسان مع المحتاجين،

ويذكر إشعياء النبى أن الرب قد إشترط ـ لقبول الأصوام والصلوات ـ أن تكون مقرونة بالصفح، وعمل الرحمة، إذ يقول الوحى الإلهى : « يقولون لماذا صُمْنا ولم تنظر ! ذللّنا أنفسنا، ولم تلاحظ. ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون ». ويضيف الرب بقوله : « أليس أن تكسر للجائع خُبزك، وأن تُدْخل المساكين التائهين إلى بيتك، إذا رأيت عُرياناً أن تكسوه. وأن لاتتغاضى عن لحمك ». وفوق هذا يجازى الرب أيضاً ببركات أخرى كالشفاء من الأمراض، واستجابة صلواتنا : «حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك. وتنبت صحتك سريعاً، ويسير برك أمامك ... حينئذ تدعو فيجيب الرب، تستغيث فيقول هاأنذا » (إش ٥٨ : ٢ـ٩) وهكذا ترنم الكنيسة فى الأصوام :

طوبى للرحما .. على المساكين   فان الرحمة تحل عليهم

والمسيح يرحمهم فى يوم الدين   ويحل بروح قدسه فيهم

+++

وفى سيرة لأحد الرهبان الشيوخ، أنه كان كثير الرحمة فحدث غلاء عظيم، ولكنه لم يتحوّل عن فعل الرحمة، حتى فقد كل شئ له، ولم يبق عنده سوى ثلاث خبزات ، فقرع سائل صدقة بابه. فقال لنفسه : «جيد أن أكون جائعاً. ولا أرد أخى فى المسيح خائباً فى هذا الغلاء العظيم» فأخرج خبزتين له وأبقى لنفسه واحدة فقط وقام يصلي. ثم جلس ليأكل . ولكن سائلاً آخر قرع الباب، فضايقته أفكار الشيطان، من أجل الجوع الذى يكابده بداخله، ولكنه قام، وأعطى الخبُزة للسائل قائلاً : « أنا أؤمن بالمسيح ربي، إنى إذا أطعّمت عبّده، فى مثل هذا الوقت الصعب أطعمنى هو من خيراته التى لم ترها عين، التى أعدها لصانعى إرادته».

ورقد جائعاً! وبقى هكذا ثلاثة أيام، لم يذق شيئاً، وهو يشكر الله. وبينما كان يصلى فى نصف الليل ـ إذ جاءه صوت من السماء يقول له : «لأجل أنك أكملت وصيتى وغفلت عن نفسك ، وأطعمت الجوعان، لايكون فى أيامك غلاء» فلما أشرق نور الصباح ،وجد على الباب جمالاً محملة خيرات كثيرة. فمجد الله وشكره.

ومن الجدير بالذكر، أنه ينبغى أن يقدم الإنسان صدقة من مال حلال غير مغتصب من مسكين أويتيم، ولامستحق لعامل أو لأجير.

ويقول القديس أثناسيوس الرسولى : «إذا قدمت جزءاً مما إقتنيته ظلماً، فلن يقبل الله عطيتك، فلترحم (أولاً) من ظلمته، صانعاً معه رحمة ومحبة، وبذلك تُقَدِّم رحمة وحقاً. فالله لايُشجِّعنا فى جشعنا ، ولا يشاطر اللصوص والسالبين. ففى استطاعته أن يُطعم الفقراء جميعاً، لكنه يطلب ثمار البِّر، ومحبة الناس».

ويقول ذهبى الفم :«أكفُف يديك عن الطمع، واضبطهما عن الظلم. وحينئذ إصنع الرحمة». هذا ويدعو القديس الجميع ـ بلا إستثناء ـ إلى عمل الرحمة (الصدقة)، مهما كانت دخولهم ضئيلة جداً !! فقد قدمت الأرملة فلسين. وهو كل ما كانت تمتلكه فعلا!

ويحكى بستان الرهبان أن راهباً مسكيناً، كان لايمتلك شيئاً ولكنه كان رحيماً، فأتاه سائل يطلب صدقة فلم يكن عنده سوى خبزة واحدة فدفعها إليه. ولكن السائل قال له :« لست

محتاجاً إلى خبز، بل إلى ثوب، فأخذه الراهب، وأدخله إلى قلايته. ولما لم يجد لديه شئ بالمرة، رقّ لحاله، وترك له كل ما يحمله من خبز.

وعلى أية حال، إذا لم يستطع الإنسان أن يقدم مالاً أو كساءً، أو غير ذلك من الماديات، فليقدم «كلمة منفعة» لخلاص نفس غيره، أو يقدم نصيحة هادفة ، أو مشورة صالحة لتحسين حاله أولحل مشاكله، أو أن يصلى من أجله، طالباً معونة الرب له، وهو مافعله الرسول بولس تجاه زميله الخادم أنسيفورس» الذى رقد فى الرب، فصلى داعياً الرب من أجله قائلا :

«ليُعطِ الرب رحمة لبيت أنسيفورس، لأنه مراراً كثيرة أراحنى ولم يخجل بسلسلتى ... ليُعطِه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم» (٢ تى ١ : ١٦ ، ١٧).

+++

تم بحمد الله

فهرست

الثمن جنيه واحد


5067
50225
هذا الكتاب
دراسة شاملة لفضيلة
الرحمة، وشروط الرحمة
وصفات الرحيم
وما يتمتع به
من فضائل أخري
الموسوعة القبطية الشاملة
٢
١- قصة العذراء حالة الحديد
٢- أم النور والمريمات
الآخريات
٣- عذارى حكيمات
٤- المطوبون من الله